International
SMART Journal
International SOCIAL MENTALITY AND RESEARCHER THINKERS Journal
e-ISSN: 2630-631X

RESEARCH ARTICLE
BASIC ISLAMIC SCIENCES

فات النفسيَّة للمنافقين كما عرضها القرآن الكريم

The Psychological Characteristics Of Hypocrites As Presented In The Holy Qur'an

Amine Ağan [1]

ملخص

نتشرت ظاهرة النِّفاق منذ عصر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد كان المنافقون متغلغلين في صفوف المؤمنين، وبما أنَّ الإيمان مسألةٌ قلبيَّة، فقد شقَّ على المؤمنين تمييزهم، بيد أنَّ الآيات التي نزلت في حقّ المنافقين كانت كفيلةً بتسليط الضَّوء على صفاتهم و أفعالهم لتمايزهم فيهما عن المؤمنين، و بما أنَّ للإيمان انعكاسًا على الأقوال والأفعال، فكذلك كان للنِّفاق آثارًا فيهما، وقد صُنِّف النِّفاق في القرآن الكريم على أنه مرضٌ في القلب، و قد وضحت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة صفات المنافقين تبصرة لنا، فالقرآن الكريم حافلٌ بصفاتهم، وموضّحٌ لممارساتهم، كما وجاءت السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة مفسّرة لصفاتهم النَّفسيَّة، وتعاملاتهم الخُلُقيَّة، وبما أنَّ القرآن الكريم قد نزل مُنَجَّمًا فقد بيَّن صفاتهم في مختلف مراحل الدَّعوة الإسلاميَّة، فبعد أن قويَت شوكة المسلمين دخل كثير من النَّاس في الإسلام، بيد أنَّ براثن الجاهليَّة بقيت جاثمةً على صدورهم، وعلى الرَّغم من وجودهم تحت راية الإسلام، إلا أنَّ الهوة كانت واسعة فيما بينهم وبين المؤمنين، تجلى ذلك في كثير من تصرُّفاتهم المعادية للمؤمنين في فترات الحرب والسِّلم، من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، واختلاق الإشاعات الكاذبة عن المؤمنين ونشرها، والفرح بمصيبة المؤمنين، وحب شيوع الفاحشة في أوساطهم، وغيرها كثير .وموضوعنا لهذه المقالة توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق، وشرح صفات المنافقين النَّفسيَة كما وردت في القرآن والسُّنة، و بيان خطورة المنافقين على الفرد والأمَّة، وكيفيَّة معرفة المنافقين من صفاتهم، وتمييزهم عن المؤمنين من خلال البحث في كينونتهم النَّفسية، بمنهجية وصفية تحليلية استقرائية.

الكلمات المفتاحية: صفات، منافقين، إيمان، قرآن.

ÖZET

Münafıklık olgusu Peygamber Efendimiz (s.a.v.) döneminden beri yaygınlaşmış, münafıklar müminlerin arasına yayılmış, iman kalb meselesi olduğu için müminleri ayırt etmek zorlaşmıştır. Ancak münafıklar hakkında nazil olan ayetler, onların müminlerden ayırt edilmesi için onların karakter ve davranışlarına ışık tutmaktadır ve imanın söz ve davranışlara yansıması olduğundan, münafıklığın da onlar üzerinde etkisi vardır. Kur'an-ı Kerim'de bir kalp hastalığı olarak sınıflandırılan ayet ve hadislerde münafıkların özellikleri bizlere bir fikir olarak açıklanmış, tıpkı Kur'an-ı Kerim'de onların vasıfları ve uygulamaları anlatılmıştır. Peygamber'in yüce sünneti, onların psikolojik vasıflarını ve ahlaki davranışlarını açıklamak için gelmiş ve Kur'an-ı Kerim, bir müneccim olarak nazil olduğundan, Müslümanların gücü ortaya çıktıktan sonra, İslam davetinin çeşitli aşamalarındaki özelliklerini açıklamıştır. Güçlenerek birçok insan İslam'a girdi ama cehaletin pençeleri göğüslerinde kaldı ve İslam'ın sancağı altında olmalarına rağmen müminlerle aralarındaki uçurum çok açıktı. Savaş ve barış zamanlarında müminleri, imanı açığa vurmaktan ve küfrü gizlemekten, müminler hakkında asılsız dedikodular uydurup yaymaktan, müminlerin musibetlerine sevinmekten, kendi çevrelerinde hayasızlığın yayılmasını sevmekten ve daha birçoklarından sakındırırız. Bu makaledeki konumuz münafıklığın dilsel ve terminolojik anlamını açıklamak, münafıkların Kur'an ve Sünnet'te geçen psikolojik özelliklerini açıklamak, münafığın fert ve millet için tehlikesini açıklamak ve münafıkların nasıl tespit edileceğini açıklamaktır. tanımlayıcı, analitik ve tümevarımsal bir metodoloji kullanarak psikolojik varlıklarını araştırarak onları inananlardan ayırır.

Anahtar Kelimeler: özellikler, münafık, iman, Kur'an.

ABSTRACT

The phenomenon of hypocrisy has spread since the era of the Prophet, may God bless him and grant him peace. Hypocrites were permeated among the ranks of the believers, and since faith is a matter of the heart, it was difficult for the believers to distinguish them. However, the verses that were revealed against the hypocrites were sufficient to shed light on their characteristics and actions to distinguish them from others. Believers, and since faith has a reflection on words and deeds, hypocrisy also has effects on them. Hypocrisy is classified in the Holy Qur'an as a disease of the heart, and the noble verses and noble hadiths have clarified the characteristics of hypocrites as an insight for us. The Holy Qur'an is full of their qualities and explains their practices, just as The noble Sunnah of the Prophet came to explain their psychological qualities and their moral dealings, and since the Holy Qur'an was revealed as an astrologer, it explained their characteristics in the various stages of the Islamic call. After the strength of the Muslims was strengthened, many people entered Islam, but the clutches of ignorance remained perched on their chests, and despite Although they were under the banner of Islam, the gap was wide between them and the believers. This was evident in many of their hostile actions towards the believers during periods of war and peace, from displaying faith and concealing disbelief, fabricating and spreading false rumors about the believers, rejoicing in the misfortune of the believers, and loving the spread of indecency in people. Their circles, and many others. Our topic for this article is to clarify the linguistic and terminological meaning of hypocrisy, explain the psychological characteristics of hypocrites as mentioned in the Qur'an and the Sunnah, explain the danger of hypocrites to the individual and the nation, and how to identify hypocrites by their characteristics, and distinguish them from believers through research into their psychological being, using a descriptive, analytical, inductive methodology.

Keywords: Traits, Hypocrites, Faith,Quran.

How to Cite This Article
Ağan, A. (2024). " فات النفسيَّة للمنافقين كما عرضها القرآن الكريم
", International Social Mentality and Researcher Thinkers Journal, (Issn:2630-631X) 10(3): 337-351. DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.11396723

Arrival: 01 March 2024
Published: 30 May 2024

Social Mentality And Researcher Thinkers is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

المقدّمة:

أقبل الإسلام دينًا قِيَمًا، يدعو إلى الإيمان بالإله الواحد الخالق وينفي الاعتقاد بإله سواه، لتخليص النفس البشريَّة من الشّرك ونقلها إلى طهارة الوحدانيَّة، بعدما كانت غارقةً في فترةٍ من الزّمن في دنسِ عبادة الأوثان والأصنام.

[1] Yüksek Lisans Öğrencisi, Mardin Artuklu Üniversitesi, Lisansütü Eğitim Enstitüsü, İslami İlimler Bölümü, Tefsir ve Kur'an İlimleri Ana Bilim Dalı, Mardin, Türkiye.

©Copyright 2021 by Social Mentality And Researcher Thinkers Journal

شرَّف الله تعالى عبده محمَّد بنِ عبد الله، بأن اختاره واصطفاه للرسالة فأرسله بشيرًا ونذيرًا للنَّاس أجمعين، ورحمةً من الله تعالى للعالمين، يقول تعالى في محكم التَّنزيل: {وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين} الأنبياء/107، الذي كان متحليًّا في فترة الجاهلية بخُلُقَي الصِّدق والأمانة فعُرِفَ بالصَّادق الأمين.

أهَّلته أخلاقه وصفاته بأن يحمل رسالة الإسلام لكافة الخَلق، داعِيًا إلى الإيمان بالله، وكان من أولى مقتضيات هذا الإيمان الصِّدق والأمانة، مُؤكِّدًا ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: أنَّ المؤمن لا يكذب[2]، وفي قوله صلى الله عليه وسلَّم: " لا إيمان لمن لا أمانة له "[3] ، ومُنَفِّرًا مِمَّا يُخالف هاتين الصِّفتين ونافيًا إيَّاهما عن المؤمن الحقّ في قوله عليه أفضل الصلاة وأتَمِّ التَّسليم: " يُطبَعُ المؤمن على الخِلال كُلِّها إلا الخيانة والكذب ".[4]

واستنادًا إلى ذلك فإنَّ الصِّدق والأمانة هما أساسا الإيمان، وقد آمن بالله وبرسوله الكثير من الناس مصدِّقين بدعوة النَّبيّ صلى الله عليه وسلَّم؛ بيد أنَّ بعضهم قد دخل الإسلام بألسنته ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ومصداق ذلك قوله تعالى: { قالتِ الأعرابُ آمنَّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخُلِ الإيمانُ في قلوبكم }الحجرات / 14، فقد شهدوا بشهادة التوحيد بيد أنَّ أركان الإيمان لم تتحقَّق في قلوبهم، وقد ورد الحديث عن هذه الثُّلَّة في أوَّلِ سورة المنافقين، في قوله تعالى: { إذا جاءك المنافقون قالوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكَاذِبُون } المنافقون/1، حيث أنَّهم كانوا يؤمنون بألسِنَتهم لا بقلوبهم، ومقرُّ الإيمانِ القلبُ، والأفعال تؤكِّدُهُ وتنفيه، وأولى تلك الأفعال الصِّدقُ والأمانة.

وهكذا فقد ظهرت بعد مجيء الإسلام وبعثة الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم فئة مؤمنة وفئة منافقة، فما هو النِّفاق، لتوضيح هذا المفهوم ومعرفته بشكل موسَّع لابُدَّ من تقديم تعريفٍ واضحٍ وصريح له، كما وسنسلِّط الضَّوء على أبرز صفات المنافقين وممارساتهم ومساوئهم ومواقفهم من الوقائع التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلَّم.

إذن فهدف البحث هو:

توضيح مفهوم النِّفاق بمعناه الصَّحيح الوارد في القرآن والسُّنَّة.

التعريف بالمنافقين من خلال صفاتهم النَّفسيَّة وأخلاقهم العمليَّة.

استنتاج والتماس الاختلاف الواسع والفرق الشَّاسع بين صفاتهم، وأخلاقهم، وصفات وأخلاق أهل الإيمان.

تبيان مدى خطورة المنافقين وضرورة التحرُّز من صفاتهم وأخلاقهم.

أمَّا الأسباب الَّتي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع فهي:

الأوَّل: عدم وجود فكرة ثابتة وصورة واضحة عن النِّفاق، فهو موضوع غامض ومفهوم غير واضح لدى كثير من النَّاس.

الثَّاني: ما رأيته من خلط بين كل من الإيمان والإسلام، فانتشار الخلط بين هذين المفهومين يُدير النَّظر عن صفات المنافقين، حتى يتهيَّأ لأفراد المجتمع المسلم عدم خطورة تلك الصِّفات وهو فكر يفتقر للصِّحة والسَّلامة.

الثَّالث: تصحيح القول القائم بقصر فئة المنافقين على ذوي الوجهين، لأن مفهوم النِّفاق أوسع وأخطر من ذلك، لأنَّه يقتلع عُرى الإيمان من قلب صاحبه، فيكون فاسد العقيدة، كما أنَّ للمنافقين صفات واضحة ذُكرَت في القرآن والسُّنَّة تُعرِّفنا بهم غاية التعريف.

وقد أدرتُ البحث على مقدّمة وفصلين وخاتمة

أمَّا المقدمة ففيها بيان أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره، ومن ثَمَّ الخطَّة الموضوعة، وكذلك المنهج المتَّبع، وحدود البحث، والدِّراسات السَّابقة.

وأمَّا الفصل الأول: فيتحدَّث عن مفهوم النفاق لغةً واصطلاحًا، والصِّفات النَّفسيَّة للمنافقين كما وردت في كتاب الله تعالى، وذلك من خلال مبحثين اثنين:

المبحث الأوَّل: مفهوم النفاق لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثَّاني: الصفات النفسية للمنافقين الواردة في القرآن الكريم.

الفصل الثَّاني: خطر المنافقين على مستوى الفرد والأمَّة، وكيفيَّة تمييز المنافقين من المؤمنين وكيفيَّة الوقاية من صفاتهم، وذلك من خلال مبحثين اثنين:

المبحث الأوَّل: خطر المنافقين على مستوى الفرد والأمَّة.

المبحث الثَّاني: كيفيَّة تمييز المنافقين عن المؤمنين وكيفيَّة الوقاية من صفاتهم.

المنهج المتَّبع:

إنَّ طبيعة البحث الذي بين أيدينا تقتضي اتِّباع المنهج التاريخي الوصفي

إضافةً إلى المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تتبُّع تلك الحوادث التاريخية، وذلك ضمن منهجية التفسير الموضوعي.[5]

---

[2] يُنظرُ شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت ١٤٤٣ هـ]، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي [ت ١٤٢٨ هـ]، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، 456/6، رقم: 4472.

[3] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ٥٠ (آخر ٥ فهارس)، 376/19.

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، 504/36، الرقم: 22170.

[4] التفسير الموضوعي هو أن يأخذ الباحث موضوعا من الموضوعات ثم يقوم بجمع كل الآيات التي تتحدث عن الموضوع، ليشكل بعد ذلك موضوع مستقل. انظر: علم التفسير، عبد السلام يوسف، ANKARA SONÇAĞ، ص114.

حدود البحث: يقتصر البحث على توضيح لمفهوم النِّفاق، ومن ثمَّ أبرز الصِّفات النَّفسيَّة لهم خلال الفترات المختلفة في تاريخ الأمَّة وحتى يومنا هذا، إضافة إلى مدى خطورتهم على الفرد والأمَّة وكيفية تمييزهم عن المؤمنين والوقاية من صفاتهم.

الدِّراسات السَّابقة:

المنافقون في القرآن الكريم، لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي.

ظاهرة النِّفاق وخبث المنافقين في التَّاريخ، لعبد الرَّحمن حسن حبنكة الميداني.

المبحث الأول: تعريف النِّفاق لغةً واصطلاحًا.

النِّفاق لغةً: مخالفة الباطن للظَّاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلّا فهو نفاق العمل. ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت أفراده وفي الاصطلاح هو الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، أو هو الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر.[6]

فالنِّفاقُ مخالفة القلب للسان، يقول تعالى: { يَقُولُونَ بأفواهِهِم ما ليسَ فِي قُلُوبِهِم } آل عمران/ 167، يعني ما يظهرونه من الإسلام وليس في قلوبهم منه شيء[7]، فلا يظهر في أفعالهم الإيمان، لأنَّه لم يثبت في قلوبهم، فهم بذلك مخالفون، و المُخالفُ عديم المروءة والحياء من نفسه، كثير الخداع و المراوغة والكذب، وهذه الصفات تنفي الإيمان، و تؤكِّدُ لحاملها النِّفاق.

وورد عن الْحَسَنِ أَنَّه قَالَ : الْمُنَافِقُ يُصِيبُ هَوَاهُ، كُلَّمَا هَوَى شَيْئًا فَعَلَهُ، وذلك في معنى قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} الفرقان/ 43. [8]

فلا ضابط للمنافق يضبط به نفسه عن انتهاك حرمات الله، ولا رادع له عن تجاوز حدوده، ولا رقيب في نفسه عليه، ولا محاسب من نفسه عليها، يتَّبعُ هواه حتى صار الهوى هو الآمر النَّاهي عنده، فيطيعه دون طاعة الله، ويسير وفق هواه دون أمر الله، وفي اتباع الهوى الضَّلالة، الضَّلالة عن الحقِّ، لأنَّ الحقَّ لا ينصاع للأهواء ولا يتبعها، لذا فهو يخالف الهوى، و اتباع الهوى يؤدي للنفاق لأنَّ فيه ابتعادًا عن الحقِّ وإعراضًا عنه، والإيمان يقتضي اتِّباع الحقِّ الذي به يقوم الإيمان، والنِّفاق يقتضي اتِّباع الباطل الذي يكون لإرضاء الهوى.

المبحث الثاني: صفات أهل النِّفاق وسياق ورودهم في القرآن الكريم.

يُعرف السياق بأنه تفسير القرآن الكريم من خلال النظم الذي انتظمت فيه الكلمات والجمل، مع ربطها ببقية القرائن والأحوال.[9]

ومثلما جاء ذكر المؤمنين في القرآن الكريم، فقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ توضِّح صفات المنافقين، في سياق المقارنة بينهم، وتصفُ أفعالهم وأقوالهم، وتبيِّنُها تبيانًا واضحًا، وهذا من هدي القرآن ونوره كي نكون على بصيرة وعلمٍ بصفاتهم فنتجنَّبها ونحذرها ولا نغفل عنها، فجاء ذكرهم في سُورٍ كثيرة أبرزها سورة البقرة والنِّساء و التَّوبة و كثيرٌ من السُّور، وانتهاءً بالسُّورةِ المخصَّصةِ باسمهم وهي (المنافقون)، وقد ظهر وجود هؤلاء ضمن صفوف المؤمنين منذُ بدء الدَّعوة المُحمَّديَّة، فلهم تاريخٌ يمتدُّ من أيَّام الدّعوة حتَّى يومنا هذا، حيث كانوا والمؤمنين جنبًا إلى جنب في فترات الحرب والسّلم، بيد أنَّ أقوالهم وأفعالهم كانت توحي إلى ما في قلوبهم من ريبٍ وشكٍّ، وقد أشارت إليهم الآيات الكريمات بصريح العبارة عن أبرز صفاتهم النَّفسية، والتي سأتوسَّع في تفصيلها فيما يلي:

- ❖ الخداع: قوله تعالى: {إنَّ المنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم} النِّساء/142، هي الخداع، فقد وُصِفوا بها لأنَّها صفةٌ أبعد ما تكون عنِ الإيمان، والخداع يأتي ممَّن لا يُؤتمَنُ لهُ، ولأنَّ الأمانة من الإيمان وبالإيمان تكون، فإنَّ غياب الأمانة يعني غياب الإيمان، فقد رُوِيَ " عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً قَطُّ إِلَّا قَالَ: إِنَّهُ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ."[10]
- ❖ افتقار روح العبادة، وضعف الهمَّة للصَّلاة: قوله تعالى:{ و إذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كُسالى يراؤون النَّاس ولا يذكرون اللهَ إلَّا قليلاً} النِّساء/142، إذ يتبيَّن من صفاتهم عدم حبِّهم و تعلُّقهم بالعبادة، وهذا يظهر من تكاسلهم عن إقامة الصَّلاة، لأن المسارعة إلى الصَّلاة والمبادرة إلى إقامتها في وقتها وبشروطها تعظيم لشعائر الدِّين و توقيرٌ لها، فهي تنبع من محبَّة العبد لله تعالى ومن الرَّغبة في مرضاته و قربه، وتتأتَّى من تقوى الله، لذلك لا تكاد ترى إنسانًا يُسارع إلى الصَّلاة ثمَّ يُسارع إلى المعاصي، لأنَّه بمقدار مقدرة الإنسان على ترك المعاصي و التغلُّب على أهواء نفسه وشهواتها، تكون مسارعته إلى إقامة الصَّلاة وتعظيم شأنها والخشوع فيها، وإيقاف المشاغل الدُّنيويَّة لأجلِ إقامتها.

و يرى الباحث أنَّه لا يُسارعُ إلى الصَّلاةِ إلَّا مؤمن، وكلَّما علَت درجة الإيمان زادت مكانة الصَّلاة و تعظيمها في قلب الإنسان، فالصَّلاة لبُّ الدِّين و جوهره وعماده، يقول محمَّد الحسيني مقالًا صائبًا في هذا المقام: (لَمَّا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِمَادَ الدِّينِ وَرَأْسَ الْعِبَادَاتِ وَمُمِدَّةَ الْإِيمَانِ بِالتَّقْوِيَةِ وَكَمَالِ الْإِذْعَانِ، كَانَتِ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا دَاعِيَةً إِلَى الْقِيَامِ بِسَائِرِ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَتَرْكِ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَنْصُوصَةِ، وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الشُّبُهَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَكْرُوهَةِ).[11]

لقد جاء كلام الحسينيّ في الصَّميم، لأنَّ الأخذ برأس العبادات، ييسّرُ الأخذ بما سواه من العبادات والفرائض، ومن ثمَّ البعد عنِ المحرَّمات، وتركُ مواطن الشُّبهاتِ، وكلّ ما لا يُرضي الله سبحانه وتعالى.

---

[6] كوثَر المَعَاني الدَّرَاري في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحُ البُخَاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، 175/2.

[7] تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1/ 435.

[8] يُنْظَر تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، تح: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، 483/1.

[9] القرآن الكريم بين الخطاب والدلالة: السياق القرآني ودوره في الترجيح، عبدالسلام يوسف، SONÇAĞk ، ANKARA، ص15.

[10] أحاديث عفان بن مسلم، عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفار البصرى، مولى عزرة بن ثابت الأنصارى (ت بعد ٢١٩ هـ)، تح: حمزة أحمد الزين، ضمن مجموع: «أحاديث الشيوخ الكبار»، دار الحديث – القاهرة، سنة الطبع١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص245، رقم: 306.

[11] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا، 518/7.

إنَّ الصَّلاة مدرسةٌ إيمانيَّة تربّي الإنسان على الطَّهارة البدنيَّة والقلبيَّة، ففي الوضوءِ طهارة بدنيَّة وفي الخشوع طهارة قلبيَّة، حيث يتمُّ في إقامتها بالخشوع تطهير القلبِ من الرَّغبات الدَّنيئة، وتطهير الفكر من الأفكار المُشينة والظُّنون السَّيِّئة، لأنَّ الخشوع يربّي النَّفس على الإنابة والخضوع لأمرِ الله والالتزام بأوامر الله، واجتناب معاصيه، و في هذا كمال الخشية من الله، وحينها يتحقَّقُ جوهرُ الصَّلاة وهدفها، وهو تربيةُ النَّفس على طاعة الله واتِّقاءِ نواهيه، وعلاوةً على ذلك فإنَّ الخشوع في الصَّلاة يُحقِّقُ التعقُّلَ والتبصُّرَ، التعقُّلُ باتِّباعِ طريق الهداية والحقّ والخير الذي فيه الفلاح في الدُّنيا والآخرة، ففيها تفكُّر الإنسان بأفعاله وأقواله، و تبصُّرُ الإنسان بحاله، ومن ثَمَّ الرهبة من الله، والرَّغبة في ثوابه تدفعه إلى تعديل ما لم يصحّ منها، وما نكب منها عنِ الصِّراط المستقيم، لذلك فالاستقامة من الإيمان، لأنَّها تأتي نتيجة الخوفِ من الله ومن عذابهِ، والاستحياء من نظر الرَّبِّ إليه، ومن الطَّمع في مرضاته و ثوابه، وكفى بالنَّفسِ طهارةً ألَّا تستسيغ فعلَ المعاصي، فالصَّلاة هي المُرَبِّية على ذلك بتأديب النَّفسِ و تربيتها على مراقبة الله والاستقامة، وقد يقول قائلٌ أنَّ كثيرًا من المُصلِّين يرتكبون المعاصي والذُّنوب، فأين دور الصَّلاة في ذلك؟ أقول: نعم قد يحتاج الإنسان إلى وقتٍ كي يتمكن من تطهير نفسه من جميع الذّنوب والمعاصي، ومن ثَمَّ اجتنابها وتركها، وهذا يأتي من الخشوع في الصَّلاة والمحافظة على إقامتها، فهي كالدَّواء لا يظهر مفعوله من تناوله من المرَّةِ الأولى، لكن المحافظة عليه في أوقاته وأخذه بالطريقة الصحيحة التي أوصى بها الطَّبيب ـ ولله المثل الأعلى ـ يُظهرُ مفعوله وأثرهُ.

والتَّهاون بالصَّلاة يضيّعُ الإيمان، لأنَّها الطَّاعة والعقيدة الموصلة إلى توحيد الله[12]، لذلك لا يمكن لتارك الصَّلاة أن يكون صحيح العقيدة، ويمكن أن نلحظ ذلك من آرائه في الدِّين والصَّلاةِ والأوامر الدِّينيَّة عمومًا.

- ❖ الرِّياء: في قوله تعالى: { يُراؤونَ النَّاسَ } بعد ذكر قيامهم إلى الصلاة وهم كُسالى، أي أنّهم يقتصرون على أداء الصَّلاة أمام النَّاس فقط، رياءً وليس اعتقادًا بفرضيَّتها، وهذا يدلُّ على سوء عقيدتهم وفسادها، لأنَّ مقيم الصَّلاة ـ بشروطها وحدودها وخشوعها ـ يقيمُها خوفًا من الله وطمعًا في جنَّته، أمَّا تاركها فهو متهاونٌ في أمر الله، لأنَّ الصَّلاة قُربةٌ إلى الله، وتاركها أو منكر فرضيَّتها منكر لضرورة صلةِ العبد بربّه، وهذا من عدمِ الإيمان، والجماعة القائلة بأنَّ الإيمان في القلب ولا ضرورة للصَّلاة ، نردُّ عليهم بقولنا أنَّ الصَّلاة أمرٌ من أوامر الله، ومن تركها أو أنكرها فإنه يعترض على أمر الله وينكره، كما أنَّه يأمر بمنكر حينما يُلغي فرضيَّة الصَّلاة، وهذا يذكِّرنا بقوله تعالى: {والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عنِ المعروفِ} التوبة/67، كما يذكِّرنا بقوله تعالى: {ودُّوا لو تدهنُ فيدهنون}القلم/9، فهم يعلمون أنَّهم على باطلٍ، ولكنَّهم لا يريدون أن يكونوا وحدهم على باطلهم، يُريدون أن يُشركوا معهم غيرهم في إثمهم، كي لا يكونوا وحدهم سودَ الوجوه، ولا يكونوا وحدهم السيئين، وهذا كان من فعال المشركين مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ففاسدُ العقيدة عندما يتأوَّلُ على الله، ثمَّ يتكلَّمُ من عقيدةٍ فاسدة، فإنَّه يُضِلُّ كثيرًا من النَّاس من ضعافِ النُّفوسِ والإيمانِ، الَّذين قد يتأثَّرون بفكره {ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضلُّونهم بغير علم ألا ساء ما يَزرون}النَّحل/25.

يقول تعالى: {قُل أتعلِّمون الله بدينكم والله يعلمُ ما في السَّموات وما في الأرضِ واللهُ بكلِّ شيء عليم} الحجرات/ 16، ويكأنَّ هؤلاء يُريدون أن يُقَدِّموا دينًا جديدًا، ويكأنَّهم يقولون لربّهم ما هذا الأمر بالصَّحيح، وإنَّ الصَّحيح لهو ما نقوله، وحاشا للهِ أن يُعلِّمه أحدٌ، وهو العليم بكلِّ ما في السَّموات و ما في الأرض وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السّماء، فهو أعلمُ منَّا وهو الحكم العدلُ الّذي لا يظلم مقدار ذرَّةٍ وما هو بظلّامٍ للعبيد، و لعلمهِ بخلقهِ وحكمته، فإنَّ العليم الحكيم لا يأمر إلّا بالعدلِ والإحسان، ولنْ يضِلَّ الإنسان بحكم الله و تنفيذ أمره، يقول تعالى: {إنَّ الله يأمرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاءِ ذي القُربى وينهى عنِ الفحشاءِ والمنكر والبغي يَعِظُكُم لعلَّكُم تذكَّرون} النَّحل/ 90.

- ❖ قِلَّةُ ذِكرِ الله: لانهماكهم بالأمورِ الدُّنيويَّة، وانشغالهم وتعلُّقهم بها، وحبُّهم للدُّنيا، قد شغلهم حبُّهم للدُّنيا عن الآخرة والعمل لأجلها، لانعدام إيمانهم بها. وقلَّة ذكر الله فعلٌ ملازمٌ للتَّثاقلِ عنِ الصَّلاة، يقول تعالى في تتمَّةِ الآية التي ذكرتُها آنِفًا: {ولا يذكرونَ اللهَ إلَّا قليلًا} النِّساء/ 142، فقد جاءتِ الآيةُ الكريمةُ بعد قولهِ تعالى: { وإذا قاموا إلى الصَّلاةِ قاموا كُسالى يُراؤون النَّاسَ}، (أي يقصدون بصلاتهم الرِّياءَ والسُّمعةَ والمراءاة مفاعلة من الرُّؤية لأنَّ المُرائي يُريهم عمله وهُم يرَونَهُ استحسانًا)[13]، فقلَّةُ ذكرِهمُ الله في الآية يأتي مُردِفًا لفعلِ المراءاة بالصَّلاة، بمعنى أنَّهم(لا يُصلُّون إلَّا قليلًا لأنَّهم لا يُصلُّون قطُّ غائبين عن عيون النَّاسِ، أو لا يذكرون اللهَ بالتَّسبيح والتهليل إلا ذكراً قليلاً نادراً قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثير)[14]؛ فهذهِ الآية احتملت معنيين: أحدهما قلَّةُ قيامهم إلى الصَّلاةِ، وعدمُ القيام بها إلَّا مُراءاةً بها أمامَ النَّاس، فإذا ما غابوا عن أعيُنِ النَّاسِ غابت صلاتهم، وكأنَّها كانت للنَّاس ولم تكُن للهِ، وأمَّا المعنى الآخر: فهو قلَّةُ الذِّكر من تهليلٍ وتسبيحٍ وتحميدٍ وتكبيرٍ ونحوه، وذلك من انعدام الإيمان في قلوبهم، ففرغت قلوبهم من الذِّكر والصَّلاة، ولو وقرَ الإيمانُ في قلوبهم فأحبّوا الصَّلاة لسارعوا إليها بل ولهرولوا، وليس في قولي هذا مبالغةٌ، بل هذا هو مشهدُ المؤمنين الحقيقيّين، حيث تقول إحدى الأخوات اللّاتي التزمن بدينهن و اتَّخذنَ سبيل الهداية بعد أن كانت مفرّطةً بدينها، أنَّ رؤيتها لمشهد النَّاس وهم يسارعون إلى المسجد للصَّلاة، قد جعلها تعود عمَّا كانت عليه من السُّفور والتَّهاون، وهذا من عملِ النَّفسِ اللَّوامةِ الّتي إذا ما وُجِدَتْ في الإنسان ظلَّت تلومه على تقصيره حتَّى تُحيلَهُ عنه إلى طريق الحقّ والهدى والاستقامة، كما تُنبّهنا الآية الكريمة إلى أهميَّة ذكرِ اللهِ، وعِظَمِ أجرهِ وثوابه عندَ الله، ولو كان ذكر الله هيّنًا، لما كانتِ الاستهانةُ به وقلَّتُهُ من صفات المنافقين.

وهكذا يتبيَّنُ لنا من الآيات الكريمة أنَّ أقوى صفات المنافقين من ناحية العبادات، وأكثرُها وضوحًا هو التَّكاسل عنِ القيام للصَّلاة والتَّثاقلُ عنها، وقد نجدُ من الناس من يستهين بالصَّلاةِ بل ويطعن فيها، بقوله أنَّ الذَّهابَ إلى بيوت الله وإقامة الصَّلاة تخلُّفٌ وتأخُّر، لربَّما أنَّه تخلُّفٌ عن لهو الدُّنيا ومجونها، وتأخُّرٌ عنِ الرُّكونِ إليها، والعاقل لا يركن إلى فانٍ، ولا يُبدِلُهُ بباقٍ، لذلك فالخاشع في الصَّلاةِ إنسانٌ راقٍ وعاقلٌ، لأنَّه ارتقى بنفسه عن الانغماس في الملذّاتِ الدنيوية والانشغال بها عن العبادة الّتي هي السَّببُ الأساسيُّ لوجوده وخَلْقِهِ، ولو كان كذلك و ترك الصَّلاة، لما بقيَ فارقٌ بينه وبين البهائم، الّتي لا تعي ولا تعقل، بل همُّها الطَّعامُ والشَّرابُ والتَّكاثُرُ، و الخاشع في الصَّلاة إنسانٌ عاقلٌ، لأنَّهُ لم ينخدع بالفانية، ولم ينجر وراءها، ولم يُفَرِّط في نفسه، فلم يفقدها ولم يتحلَّل خُلُقُهُ في السَّير وراءها، فصار إنسانًا متحلّيًا بالأخلاق الفاضلة، وبالإيمان الَّذي به

---

[12] يُنظر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ)
ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار: مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر
(تصوير/ دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ط: الثالثة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، 380/1.

[13] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، 408/1.

[14] نفس المصدر.

يتميَّزُ الإنسان عن غيرهِ، بسلامةِ فكرهِ، وطهارةِ قلبِه، فالدِّين مدرسةُ الآداب والأخلاقِ والقِيَم، و مَنْ يُنْكِرُ أهميَّة الصَّلاة في حياة المسلم الدّنيويَّة والأخرويَّة، فذلك لعدم علمهِ بجوهرها، و دورها في تربية النفس، بل ظنَّ أنَّها عبارة عن حركات وأقوال تُرَدَّدُ دون فهمٍ ولا وعيٍ، وهذا جهلٌ بحقيقةِ الدِّين، لأنَّ في الصَّلاةِ ارتقاءٌ روحيٌّ لا يصلُ إليه إلا الخاشعُ فيها، ولا يستشعرُ حلاوتها الإيمانيّة، و معانيها التَّربوية سوى من أقبَل عليها بصدق نيَّةٍ وإخلاصِ عملٍ.

- التَّذبذب بين الحقّ والباطل: قوله تعالى: {مُذبذبينَ بين ذلك لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجدَ له سبيلًا} النِّساء/ 143، توضَّح الآية الكريمة أنَّ المنافقين لا ينتمون لأي فريق سواء أكان فريق المؤمنين أو فريق الكافرين، إنَّهم متخبّطون في اعتناق عقيدة أو دين، وفي الانضمام إلى فئة من كلتي الفئتين، وقد جاء في معنى الآية أنَّهم: (لم يُخلصوا الإيمان فيكونوا مع المؤمنين وليسوا مع أهل الشّرك)[15]، كما قيل في تفسير الآية: (بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكُفْرِ، و مَنْ يَخْذُلُهُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي دَعَا اللَّهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ ، يَقُولُ: مَنْ يَخْذُلْهُ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لَهُ ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ سَبِيلًا: يَعْنِي طَرِيقًا يَسْلُكُهُ إِلَى الْحَقِّ غَيْرُهُ. وأَيُّ سَبِيلٍ يَكُونُ لَهُ إِلَى الْحَقِّ غَيْرَ الْإِسْلَامِ؟ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَهُ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ غَوَى ، فَلَا هَادِيَ لَهُ غَيْرُهُ)[16]، وجاء في تفسير آخر للآية أنَّهم (مُردَّدين بين الكفر والإيمان ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرّحين بالشّرك {لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء} لا من الأنصار ولا من اليهود {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} من أضلَّه الله فلن تجد له ديناً)[17]، وقيل: أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين[18]، وهذه صفةٌ بديهيَّةٌ لمن لا يؤمن بفكرٍ معين، ولا يعتنق عقيدةً واضحة، لأنَّ الإيمان يستلزم الثَّبات والتَّمسُّك بالمبدأ، وعدم الإيمان يقتضي عدم الثَّبات، ولمَّا كان المنافقون عديمي الإيمان كانت أقوالهم وآراؤهم متضاربة ومتناقضة، حسبَ ما تقتضيه مصالحهم و منافعهم، لأن همَّهم الدُّنيا، فهم لا يتخذون موقفًا مُحَدَّدًا، لانعدام فكر أو عقيدةٍ يستندون إليهما للثَّبات على موالاة فريقٍ معيَّن، فانعدام الإيمان عندهم منعهم من موالاة المؤمنين، وإبطان الكفر مع إظهار الإيمان منعهم من موالاة فريق الكافرين، وهذا كان سبب تذبذبهم بين كلا الفريقين، وهذا واقع كثير من النَّاس، تراهم تحت مسمَّى الإسلام وليس فيهم منه شيء.

إنَّ المنافقون أقوام لم يثبُتِ الإيمان في قلوبهم، فهم على عقيدة أهل الكفر، ومع ذلك لا يعترفون بألسنتهم أنَّهم على ذلك، لأنَّهم يُقِرُّون بالإسلام بألسنتهم، وتأبى قلوبهم الإيمان والتَّصديق بما جاء به محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، لذا فهم رغم زعمهم انتماءهم للإسلام، إلَّا أنَّهم في حقيقة أمرهم لا دين لهم، لأنَّهم لا يعتقدون بعقيدة معيَّنة، ولا يتبنُّون شريعة من شرائع أهل الكتاب، فبفساد اعتقادهم وعدم إيمانهم بالدين الَّذي يدَّعون الإنتماء إليه، قد ثبتَ أنَّهم لا دين لهم، و إن كانوا على الإسلام في ظاهرهم.

- خيانة الله والرَّسول: للمنافقين ممارسات عديدة و أفعال كثيرة، وكلها كانت تصب في إيذاء المؤمنين والتَّشفِّي منهم، و كان أساس أفعالهم وممارساتهم تلك هو خيانة الله و رسوله، فقد نهى الله تعالى وحذَّر من الخيانة بكل أنواعها، يقول تعالى: {يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تخونوا الله والرَّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنَّ أموالكم وأولادكم فتنة وأنَّ الله عنده أجرٌ عظيم}الأنفال/27-28، (قال محمد بن إسحاق: لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ يعني: لا تظهروا له من الحق ما يرضى عنكم ثم تخالفوه في السر، فإن ذلك هلاكاً لأنفسكم وخيانة لأماناتكم)[19].

وجاء في معنى الآية أنَّهُ (من ضيع شيئاً مما أمر الله أو ركب شيئاً مما نهاه الله عنه فليس بعدل لأنه قد لزمه اسم الخيانة).[20]

فكان ترك شيءٍ ممَّا افترضه الله تعالى على عباده، أو ارتكاب شيءٍ ممَّا نهى عنه داخلًا في صنفِ الخيانة مع الله ورسوله، ومن الخيانةِ مع الله مُخالفةُ القولِ العملَ، ومُخالفةُ الظَّاهرِ الباطنَ، لذلك كانتِ الخيانةُ صفةً من صفات المنافقين التي ذكرها النبي صلَّى الله عليه: "وإذا اؤتمِنَ خان"، فللخيانة بذلك مفهوم واسع يتجاوز خيانة النَّاس، إلى خيانة الله و رسوله، بخلاف المؤمن الذي خُلُقُهُ الأمانة، سواءً على أمر الله، أو على أمانات النَّاس وعهودهم، و مِن صُوَرِ حفظ الأمانة والعهد مع الله أنَّه لا يعصي الله و إن غاب عن أعين النَّاس لعلمهِ بنظر الله إليه، فيتذوَّقُ لذَّة الطَّاعة في موضعٍ سنحت له الفرصة بالمعصية ولكنَّه لم يعصِ الله فيه، لأنَّه استشعرَ برضا الله في ذلك الموقف، و بقوَّة نفسه أمام الشَّيطان والهوى، وما يُلَقَّى هذا الصَّبر والثَّبات إلَّا ذو حظٍّ عظيم عند الله، فلم يخسر نفسه و آخرته في موقف ساعةٍ أو لمصلحةٍ دنيويَّة.

فصيانة الأمانة مع الله ورسوله، ومع النَّاس تتأتَّى بالصَّبر على الشَّدائد والمِحَن، والثَّبات أمام المغريات و الفتن، وعدم الانصياع لها، يقول تعالى: {و مِنَ النَّاس من يعبد الله على حرفٍ فإنْ أصابهُ خيرٌ اطمأنَّ به وإنْ أصابته فتنةٌ انقلبَ على وجهه خسرَ الدُّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين}الحج/11، جاء في تفسيرها: يعني على شك، نزلت في أناس من أعراب أسد بن خزيمة وغطفان[21]، {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ}، قال مجاهد وقتادة: أي رَضِيَ بِهِ {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} هَذَا الْمُنَافِقُ، يَعْنِي إِنْ رَأَى فِي الْإِسْلَامِ رَخَاءً وَطَمَأْنِينَةً طَابَتْ نَفْسُهُ بِمَا يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: أَنَا مِنْكُمْ وَمَعَكُمْ، وَإِنْ رَأَى فِي الْإِسْلَامِ شِدَّةً أَوْ بَلِيَّةً لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مُصِيبَتِهَا أَوْ لَمْ يَرْجُ عَاقِبَتَهَا {انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ } يَعْنِي كَافِرًا[22] ، فحفظُ العهد بين العبد و ربه يكون بصبر العبد على قضاء ربّه و عدم معصيته مهما عصفت به المحن، و كثرت أمامه الفتن، فهو باقٍ على عهد ربّه، صامدٌ صابرٌ على أمره، مترفِّعٌ عن الدَّنايا، معرضٌ عن الخطايا، غيرُ ناقضٍ العهد مع ربّه لعَرَضٍ من الدُّنيا هو فتنة المرء في دينه، يقول تعالى: {وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} النَّحل/ 95، بمعنى ولا تنقضوا عهودكم راغبين بنقضها بدَلًا

---

15 تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تح:د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، 7/ 617.

16 نفس المرجع، 7/ 617، دون ذكر الآيات.

17 الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ، ص297.

18 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]
عام النشر:جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، 5/3.

19 بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١، 2/ 17.

20 معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، دار: المطبعة العلمية – حلب، ط: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، 168/4.

21 تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ، 117/3.

22 يُنظَرُ تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، تح: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، 356/1.

قليلًا من متاع الدنيا، ولكن أوفوا بها[23]، و إيفاءُ العهود من تمام المروءة وكمال الأدب، وههنا يتبيَّن لنا المؤمن من المنافق، و أنَّ المؤمن يصبر، و ينزّهُ نفسه عن خيانة الأمانات لإيمانه بأفضليَّة ما عند الله و دواميَّته مقارنةً مع عَرَضِ الدُّنيا الزَّائل.

- ❖ الجبن: المنافقون قوم جبناء لإظهارهم خلاف ما يبطنونه[24]، إمَّا حفاظًا على مصالحهم في الدَّولة المسلمة، أو حفاظًا على حياتهم، يقول تعالى: (اتَّخذوا أيمانهم جُنَّة فصدُّوا عن سبيل الله) المنافقون/ 2، وفي هذا القول دلالةٌ على أنَّ إظهارهم الإيمان جُنَّةً من القتل[25]، لم يخفَ أمرهم على علّام الغيوب الذي يعلم ما تكنُّه الصدور وما توسوس به النُّفوس، فقال جلَّ جلاله فيهم: (ومِمَّن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذِّبهم مرَّتين ثم نردُّهم إلى عذاب عظيم) التوبة/ 101، وهم على إخفائهم النِّفاق وإظهارهم الإيمان إلا أنَّ أفعالهم و أقوالهم قد دلَّت على ما في قلوبهم، فظهرت علامات النفاق و إماراته في أفعالهم و أقوالهم.
- ❖ الشَّك في صحَّة القرآن والسُّنَّة: يقول تعالى: (ولو نشاء لأرَيناكهم فلعرفتهم بسيماهم و لتعرفنَّهم في لحن القول) محمَّد/30، أي فيما يبدو من كلامهم الدَّال على مقاصدهم، يفهم المتكلِّم من أيِّ الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول[26].

يرى الباحث أنَّ آثار فساد عقيدتهم وعلامات نفاقهم تظهر في أقوالهم و آرائهم ووجهات نظرهم، هم إن شاؤوا أو أبوا سيظهر ذلك عليهم، لأن كلام المرء نتاج فكره، فَهم على ما يظهرونه من انتمائهم لصفوف المسلمين في الظاهر إلا أنهم أقوالهم تدل على ما في قلوبهم من مخالفة، ويتجلى ذلك في معاني أقوالهم، فتجد في فحوى كلامهم ما يدلُّ على عدم إيمانهم، ومعاداتهم للمؤمنين الحقيقيين، يقول تعالى فيهم: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلَّا غرورًا)الأحزاب/ 12، جاء في تفسير معنى الآية عن قتادة أنَّه قال: " قال ذلك أُناس من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا"[27]، حيث يرى الباحث أن في كلامهم دلالة على قصر رؤيتهم وهبوط فكرهم، وضيق الأفق لديهم، فالمؤمنون بالرغم من قلة عددهم وعتادهم في كل غزوة بيد أنَّ إيمانهم بتأييد الله و قوَّته و نصره دفعهم إلى الثَّبات أمام الفئة الكثيرة من الكافرين، بيد أنَّ نظرة المنافقين كانت قاصرة، فهم ينظرون للأسباب الدُّنيويَّة، ولا يؤمنون بالتَّدخُّل الإلهي، بل و كان أبرز تفكيرهم يدور حول غرائزهم وحاجاتهم الجسديَّة، ففي الوقت الَّذي كانت فيه نفوس المؤمنين تتلهَّف للنَّصر، و تتوق للشَّهادة في سبيل الله، مترفِّعين عن التَّفكير في الأمور الدُّنيويَّة، كان المنافقون يشكُّون بل وينكرون أنَّ النَّصر سيكون حليفًا للمؤمنين.

- ❖ سفاهة الرَّأي وقصر النَّظر العقلي: إنَّ الدُّنيا من أولى أولويَّات المنافقين، لذلك لا تتوق نفوسهم لأكثر منها، وليس لديهم غاية أبعد و أسمى منها، لانعدام إيمانهم بالآخرة[28]، ولمَّا كانت الدُّنيا غاية سؤلهم، انعدمت أيَّة غاية نبيلة يناضلون من أجلها، ويجاهدون أنفسهم في سبيلها، لذا لم يكونوا مستعدِّين للتَّضحية براحتهم قيد أنملة، ففي غزوة تبوك التي وقعت وقت شدَّة الحرّ تخلَّف المنافقون عن المشاركة فيها، وكانوا ينفِّرون المؤمنين من الخروج للجهاد بحجَّة الحرّ الشَّديد[29]، يقول تعالى: (فرح المخلَّفون بمقعدهم خلاف رسول و كرهوا أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنَّم أشدُّ حرًّا لو كانوا يفقهون) التَّوبة/81، فالمنافقون يُؤثرون الفاني على الباقي، و يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ، ويفضِّلون الراحة المنقضية على الراحة الدَّائمة[30]، وما كانت غايتهم في دعوة المجاهدين إلى القعود عن الجهاد إلا تثبيطًا لهمَّتهم عن الجهاد في سبيل الله، وكسرًا لشوكة المؤمنين، وتصغيرًا لهم في أعين الكافرين، بيد أنَّ الرد الإلهي جاء حاسمًا و صارمًا وبليغًا، فإنهم إن كانوا يتخلَّفون عن الجهاد خوفًا من حرّ الدُّنيا، فإنَّ مصيرهم الذي ينتظرهم في نار جهنَّم أشدُّ و أعظم، يقول الزمخشري في الكشاف: " قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا استجهال لهم، لأن من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن في مشقة الأبد، كان أجهل من كل جاهل: ولبعضهم:

مَسَرَّةُ أَحْقَابٍ تَلَقَّيْتُ بَعْدَهَا ... مَسَاءَةَ يَوْمٍ أَرْيُهَا شِبْهُ الصَّابِ

فَكَيْفَ بِأَنْ تَلْقَى مَسرَّةَ سَاعَةٍ ... وَرَاءَ تَقَضِّيهَا مَسَاءَةُ أَحْقَابِ[31]

بمعنى أنَّ الفرح الذي يعقبه حزن ما هو إلا حزن لا محالة، والتَّعب الذي يعقبه راحة، هو راحة لا محالة، والأمور بعواقبها، فالعاقبة هي النَّتيجة النِّهائيَّة لكلِّ عمل، والعاقل من يؤثر الباقي على الفاني، والدَّائم على المؤقَّت، هذا هو نمط التَّفكير في عقول المؤمنين، والمنافقون لقصر عقولهم، وعمى بصيرتهم، انحطَّت آراؤهم، وأفكارهم، ونظرتهم المستقبليَّة للأمور، فانشغلوا باللحظة الآنيَّة وعطَّلوا عقولهم عن التَّفكر، وقلوبهم عن التَّدبُّر.

- ❖ عدم الفقه: يقول تعالى: (لو كانوا يفقهون) التوبة/81، أي: " لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حرا ويعتبرون بذلك، لما فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، ولما كرهوا الجهاد، ولما قالوا ما قالوا، بل لحزنوا واكتأبوا على ما صدر منهم، ولبادروا

---

[23] يُنظَر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، 39/6.

[24] يُنظَر التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ، 14/1، ويُنظَر من معارك الإسلام الفاصلة، محمد بن أحمد باشميل، الناشر: المكتبة السلفية – القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (بعض الأجزاء تختلف، ينظر بداية كل جزء)، 126_125/10.

[25] يُنظَر الأم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م (وأعادوا تصويرها ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م)، عدد الأجزاء: ٨ (في ٥ مجلدات)، 296/1.

[26] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، 321/7.

[27] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، ط: بدون تاريخ نشر، 223/20.

[28] يُنظَر الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar

عدد الأجزاء: ١١

تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ

[الكتاب مرقم آليا]، 461/6.

[29] يُنظَر التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، 1/ 200.

[30] يُنظَر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص346.

[31] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، 296/2.

بالتوبة والاستغفار، كما فعل أصحاب القلوب والنفوس النقية من النفاق والشقاق "[32]، يتجلى للباحث ثبوت عدم الفقه لدي فئة المنافقين، فجاءت أقوالهم دلالة على عدم فهمهم، فكلمَّا ارتفع مستوى الفهم لدى المرء صحَّ رأيه، و حَسُنَت رؤيته للأمور، لكن رداءة الرَّأي لدى المنافقين كان دلالةً على انحطاط مستوى الفهم والتَّفكير عندهم، والعكس صحيح، فكلمَّا ارتفعت نسبة الإيمان لدى الإنسان كَمُلَ عقله، و حَسُنَ رأيه، و استقام فكره ولسانه.

- اللمز والسُّخرية من المؤمنين: ويرى الباحث أنَّ أكثر ما يطعن المنافقون، أنَّهم يطعنون أهل الإيمان القوي، وتمتلئ قلوبهم غيظًا وحنقًا من منابع النور الإيمانيّ، فلا يتورَّعون عن مهاجمة حلقات حفظ القرآن وحفظته، ومرتادي بيوت الله بانتظام، المحافظين على صلواتهم، وللملتزمين بأوامر الله حقَّ الالتزام، المتخلِّقين بأخلاق أهل الإيمان من غضّ البصر وحفظ الفرج والصدق والأمانة، وللمكثرين من ذكر الله، وسبب مهاجمة المنافقين لفئة المؤمنين هو تعارض صفاتهم مع صفات المؤمنين، فتجدهم يقدحون و يتَّهمون أهل الإيمان بما ليس فيهم، ويقلِّلون من شأنهم، هم يكرهون الفئة المؤمنة الملتزمة التي توفَّرت فيها علامات الإيمان فيتّهمونها تارةً بالتَّشدُد، وتارةً بالرِّياء، ويقذفون أطهر نساء المؤمنين تارةً أخرى، فكان المنافقون يؤذون المؤمنين باللمز والسخرية من أعمال المؤمنين الصالحة، لأنَّهم كانوا يجدون في تلك الأعمال تمايزًا عنهم تبايُنًا يُظهِر نقصهم، هم محبّون للقعود واللمز لانعدام همَّتهم للعمل الصَّالح والجهاد في سبيل الله، فعزيمتهم ميّتة، وأقوالهم مثبّطة، يقول تعالى: (الذين يلمزون المطَّوّعين من المؤمنين في الصَّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخِرَ اللهُ منهم ولهم عذابٌ أليم) التَّوبة/79، قال زيدٌ في قوله تعالى آنفِ الذِّكر: (أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدّقوا، فقام عمر بن الخطاب: فألفَى ذلك مالي وافرًا، فآخذ نصفه. قال: فجئت أحمل مالا كثيرًا. فقال له رجل من المنافقين: ترائي يا عمر! فقال: نعم، أرائي الله ورسوله، وأما غيرهما فلا! قال: ورجلٌ من الأنصار لم يكن عنده شيء، فواجَرَ نفسه ليجرّ الجرير على رقبته بصاعين ليلته، فترك صاعًا لعياله، وجاء بصاع يحمله، فقال له بعض المنافقين: إن الله ورسوله عن صاعك لغنيَّان! فذلك قول الله تبارك وتعالى: (الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) ، هذا الأنصاري)[33]، واللمز: "هو أن يعيب الرجل بشئ يتهمه فيه ولهذا قال تعالى " ومنهم من يلمزك في الصدقات " أي يعيبك ويتهمك أنك تضعها في غير موضعها ولا يصح اللمز فيما لا تصح فيه التهمة، والعيب يكون بالكلام وغيره يقال عاب الرجل بهذا القول وعاب الاناء بالكسر له ولا يكون اللمز إلا قولا"[34]، حيث يتجلّى للباحث من خلال الآية الكريمة طباعهم الدَّنيئة، وصفاتهم الخسيسة، فأقوالهم التي يرمون بها أهل الإيمان تدلُّ على حسدهم وعدائهم الخفيّ الذي لا يُظهرونه، ولكنه يظهر في سياق معاني كلامهم، لذلك فهم يطلقون أحكامًا سيّئة على نيَّات النَّاس، ويترجمون أفعالهم الحسنة ترجمة سلبيَّة، فيُلصقون بها النيّات السَّيّئة، وعلى الرَّغم من انضمامهم لصفوف المؤمنين إلا أنَّ أقوالهم تُبيّن اختلافهم عنهم، لذلك كانوا يلمزون المؤمنين في صدقاتهم رغم صلاح أفعالهم، ويُلبِسونها سوء تفسيرهم لها.
- حب شيوع الفاحشة في أوساط المؤمنين: إذ يتجلّى للباحث من خلال أفعالهم مدى اجتهادهم في إلصاق العيوب بالمؤمنين، وتشويه سمعتهم، ونشر الإشاعة الكاذبة عنهم، فهم يحبُّون سماع الأخبار السَّيّئة ونشرها، يقول تعالى: (إنَّ الَّذين يُحبُّون أن تشيع الفاحشة في الَّذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدُّنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) النّور/19، أي: إن الذين يحبون شيوع الفاحشة في المسلمين من قَذْف بالزنى أو أي قول سيّئ في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وغيره من البلايا الدنيوية، ولهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله -وحده- يعلم كذبهم، ويعلم مصالح عباده، وعواقب الأمور، وأنتم لا تعلمون ذلك[35]، (لهم عذاب اليم) أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجُرأته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟ " وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة.

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه[36]، فألسنتهم قادحة مؤذية، رغبةً منهم في إظهار صورة أهل الإيمان بالسُّوء، والإنقاص من حقِّهم، والتَّقليل من شأنهم، وفي الآية الكريمة تحذيرٌ من الله تعالى من الإجتراء على أعراض المسلمين، نزلت الآية أول ما نزلت في المنافقين الذي اتَّهموا أمَّ المؤمنين ابنة الصِّدّيق رضي الله عنهما وزوج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالزِّنا، ثم جاءت الآية عامَّة، فشملت كلّ من يحبُّ إشاعة الفاحشة في صفوف المؤمنين، وخاطبت كل من يجترئ على هذا العمل المشين الّذي يمسُّ أعراض المؤمنين، ويهدُّ كيان المجتمع المؤمن.

- موالاة الكافرين من دون المؤمنين[37]: يقول تعالى: (بَشِّرِ المنافقين بأنَّ لهم عذابًا أليمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) النِّساء /138- 139، وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ: الْمُنَافِقُونَ، وَبِالْكَافِرِينَ الْيَهُودُ، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ يُوَالُونَهُمْ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ لَا يَتِمُّ، فَيَقُولُ الْيَهُودُ بِأَنَّ الْعِزَّةَ وَالْمَنَعَةَ لَهُمْ[38]، وموالاة الكافرين من دون المؤمنين علامة عدم الإيمان، لأنَّ موالاة أحدهم للآخر تأتي من اتِّفاقٍ في العقيدة والرَّأي، فإن حصل الاتِّفاق تمَّت الموالاة، واتِّخاذُ المنافقين الكافرين أولياء من دون المؤمنين دليلٌ على أنَّ عقيدة المنافقين أقرب إلى عقيدة الكافرين منها إلى عقيدة المؤمنين، ولولا ذلك لما آثروا موالاتهم على موالاة المؤمنين.

---

[32] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨، 367/6.

[33] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، ط: بدون تاريخ نشر،14 /392.

[34] معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ص468.

[35] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، 351/1.

[36] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص563.

[37] يُنظَر الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ص207.

[38] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، 246/11.

- التربُّص بالمؤمنين، وعدم اتِّخاذ موقف معيَّن في العقيدة والجهاد: وذلك في قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) النِّساء/ 141.

- الحزن بنصر المؤمنين، والفرح بمُصابهم : {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} التوبة/50، أخرج ابْن أبي حَاتِم عَن جَابر بن عبد الله قَالَ: جعل الْمُنَافِقُونَ الَّذين تخلفوا بِالْمَدِينَةِ يخبرون عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَخْبَار السوء يَقُولُونَ: إِن مُحَمَّدًا وَأَصْحَابه قد جهدوا فِي سفرهم وهلكوا فَبَلغهُمْ تَكْذِيب حَدِيثهمْ وعافية النَّبِي وَأَصْحَابه فساءهم ذَلِك فَأنْزل الله تَعَالَى {إِن تصبك حَسَنَة تسؤهم} الْآيَة[39] والحسنةُ هنا بمعنى الظَّفر، والمصيبة بمعنى النَّكبة[40]، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّه يدلُّ على عدائهم للمؤمنين، لأنَّ هذه الصِّفات والأفعال لا تنمُّ إلا عن كرهٍ وحقد دفينَين.

- كره الجهاد في سبيل الله بالمال والنَّفس: قوله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بمقعدهم خِلافَ رسولِ اللهِ وكَرِهوا أنْ يُجاهدُوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحَرّ قُلْ نارُ جهنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لَو كانوا يَفقَهون) التَّوبة/ 81، قوله: فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، فالمخلف المتروك خلف من مضى، وقوله: بِمَقْعَدِهِمْ أي: بقعودهم، والمقعد ههنا مصدر بمعنى القعود، خلاف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الزجاج، وقطرب، والمؤرج: مخالفة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ سار، وأقاموا[41]، و تخلُّفُ المنافقين عن ركب الجهاد مع رسول الله والمؤمنين هي نتيجةٌ طبيعيَّة لعدم إيمانهم، وفساد عقيدتهم، لأنّ الجهاد يستند إلى العقيدة، و متى ما انعدمتِ العقيدة انعدم الجهاد، وللجهاد مفهوم واسع، يبدأ من الجهاد بالنفس على ترك المعاصي وفعل الطاعات، فيما دون ساحة القتال، فهو جهاد النَّفس ضدَّ الهوى والشَّيطان، وينتهي إلى الجهاد بالنَّفس والمال في سبيل الله في ساحات المعارك والحروب، وهذا ما يفسِّرُ أفعال المنافقين ابتداءً من تكاسلهم عن الصَّلاة وانتهاءً بتخلُّفِهم عن الجهاد.

- إتِّخاذُ النَّفقة مَغرَمًا وخسارة، وتربُّصُ الدَّوائر بالمؤمنين: قوله تعالى: (ومن الأعراب من يتَّخِذُ مغرمًا ويتربَّصُ بكم الدَّوائر عليهم دائرة السَّوء والله سميعٌ عليم) التوبة/ 98، يعني: ما ينفق في الجهاد، يحسبه غرما ولا يحتسبه فيه الأجر، وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ، يعني: ينتظر بكم الموت، يعني: محمدا صلّى الله عليه وسلّم خاصة. وقال القتبي: الدوائر، دوائر الزمان ودوائر الزمان، صروفه التي تأتيه مرة بالخير ومرة بالشر. يقول الله تعالى: عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ، يعني: عاقبة السوء والهلاك...يقال: رجل سوء، إذا كان خبيثاً.. وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يعني: سميعا لمقالتهم، عليما بهلاكهم[42]، ولمَّا لم يكن إنفاقهم في سبيل الله طلبًا للأجر والثَّواب في الآخرة، لعدم إيمانهم بها، فقد كان خسارةً بالنِّسبة إليهم، بسبب حبِّهم للدُّنيا، كما أنَّ تربُّصهم بالمؤمنين و تمنِّي الموت لهم هو نتيجةٌ لمعاداتهم للمؤمنين في باطنهم وموالاتهم للكافرين، حيث كان إيمانهم باللسان فقط بينما كانوا ضمن صفوف المسلمين وتحت مسمَّاهم، يقول تعالى: { قالت الأعراب آمنَّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله و رسوله لا يلِتْكُم من أعمالكم شيئًا إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم } الحجرات/14، نزلت في نفرٍ من بني أسدٍ قدموا المدينة في سنة جدبة بذراريهم وأظهروا كلمة الشَّهادة ولم يكونوا مؤمنين في السِّرّ فقال الله تعالى: {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} أيْ: لم تُصدِّقوا الله ورسوله بقلوبكم ولكن أظهرتم الطَّاعة مخافة القتل والسَّبي {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله} ظاهراً وباطناً {لا يلتكم} لا ينقصكم {من} ثواب {أعمالكم شيئاً} الآية[43]، وإظهار كلمة الشَّهادة باللسان مع عدم الإيمان بالقلب هو عين النِّفاق.

- الحَلف على الكذب: قوله تعالى: (ألم ترَ إلى الّذين تولَّوا قومًا غضبَ اللهُ علَيهم ما هم منكم ولا منهم ويَحلِفون على الكذِبِ وهُم يعلمون) المجادلة/ 14، نزلت فِي المنافقين كانوا يوالون اليهود «مَا هُمْ مِنْكُمْ» من المسلمين، «وَلا مِنْهُمْ» عَلَى دين المنافقين هُمْ يهود[44]، فاختلاف قلوب المنافقين مع قلوب المؤمنين أدَّى إلى اختلاف مواقفهم معهم ، لذلك كان وقوف المنافقين دائمًا إلى جانب أعداء المؤمنين، وهذا ما يفسِّرُ خيانتهم للمؤمنين، فالخيانة كانت السَّبب والنتيجة لأفعالهم ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ» قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَقَالَ لَهُ: «عَلَامَ تَسُبُّنِي أَوْ تَشْتُمُنِي؟» قَالَ: فَجَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُجَادَلَةِ: {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [المجادلة: 14] وَالْآيَةُ الْأُخْرَى[45]، وحلفهم على الكذب كان مراوغةً منهم لئلَّا ينكشف أمرهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما تبيَّن لنا فيما سبق في صفات المنافقين أنَّ الكذب من أولى صفاتهم النَّفسيَّة، بحجَّة تسيير مصالحهم الدُّنيويَّة، بيد أنَّ حجَّتهم داحضة، لأنهم بذلك يبيعون أخراهم بدنياهم، وتلك عين الخسارة.

- الأمر بالمنكر والنَّهي عن المعروف والشحُّ في الإنفاق: قوله تعالى: (والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهَون عن المعروفِ ويقبضون أيديَهم نَسوا الله فنسيَهم إنَّ المنافقين همُ الفاسقون) التَّوبة/ 67، لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} وهو الكفر والفسوق والعصيان.

---

[39] الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ٨، 215/4.

[40] يُنظر غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تح: سعيد اللحام، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، ص 163.

[41] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، 515/2.

[42] بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، 2/ 83.

[43] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ، ص1019.

[44] معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:الأولى ، 142/3.

[45] تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تح: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، 489/22.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل {نَسُوا اللَّهَ} فلا يذكرونه إلا قليلا {فَنَسِيَهُمْ} من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة[46]،وقيل في قوله { نسوا الله } يعني نسوا نعم الله عندهم، فأنساهم شكر النعم[47]، ولا يكون الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف إلَّا لاتِّباع سبيل الضَّلالة، وهو ملازمٌ للكذب الذي هو من صفاتهم، لأنَّ في الكذب ضلال وإضلالٌ عن الحقّ، وأمرُهم بالمنكر ونهيُهم عن المعروف والشُّح في الإنفاق كان بسبب نسيانهم لرّبهم، ونسيان مراقبته لهم ونعمه عليهم، فكانت أفعالهم لا تستند إلى القيم الإنسانيَّة والأخلاق الحميدة، بل إلى أهوائهم و رغباتهم.

- ❖ يُحَبُّون أنْ يُحْمَدوا بِما لمْ يفعلوا: قولهُ تعالى: (لا تحسبنَّ الَّذين يفرحون بما أتوا ويحبُّون أنْ يُحمَدوا بما لمْ يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ منَ العذابِ ولهم عذابٌ أليم) آل عمران/ 188، اختلف المفسّرون فيمن نزلتْ هذه الآية فمنهم من قال أنَّها نزلت في نفر من الأحبار فرحوا بإضلالهم الناس ونسبة الناس إيَّاهم إلى العلم و ما هم من أهل العلم[48]، ومنهم من قال أنَّها نزلتْ في يهود فرحوا بإعجاب النَّاس لهم بتبديلهم الكتاب وحمدهم إيَّاهم عليه[49]، ومنهم من قال أنَّها نزلت في رجالٍ من المنافقين على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، كانوا يتخلَّفون عنه إلى الغزو، ويفرحون لتخلُّفهم عنه، وكان إذا جاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعتذرون و يحلفون لهن ويحبُّون أنْ يُحمَدوا بما لم يفعلوا فنزلتِ الآية[50]، وهذا يدلُّ على إصرارهم على الباطل، كما يدلُّ على خداعهم لله ولأنفسهم وللمؤمنين، وهذا عين الغباء أن يفرح الإنسان بأن يُحمَدَ بما لم يفعله، ودلالة على الجهل وضعف العقل.

- ❖ زرع الفتنة والتَّفرقة بين صفوف المؤمنين لإضعافهم: قوله تعالى: (لَو خَرَجُوا فيكمْ ما زادوكُم إلَّا خبالًا و لأوضعوا خِلالَكم يَبغُونكُمُ الفتنة وفيكم سمَّاعُون لهمْ واللهُ عَليمٌ بِالظَّالِمين) التَّوبة/ 47، خبالًا : (أي: نقصا.{وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ} أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم. {وَفِيكُمْ} أناس ضعفاء العقول {سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم)[51]؛ وبغيتهم الفتنة بين صفوف المؤمنين رغبةً منهم في تفريقهم وإضعافهم، من إمارات الشَّرّ الذي يكنّونه في نفوسهم للمؤمنين، لأنَّ مُريد الخير يسعى للإصلاح ونبذ الفتنة، فبدَت بذلك نيَّاتهم الخبيثة من سوء أفعالهم.

- ❖ اتِّباع الهوى: يرى الباحث أنَّ السَّبب الرئيس لامتناع المنافقين عن اتِّباع الحقّ هو رغبتهم في اتِّباع هواهم، فتناقض الهدى مع الهوى دفعهم إلى الإعراض عنه، يقول تعالى: {أرأيت من اتَّخذَ إلهه هواهُ وأضَلَّهُ اللهُ على علمٍ و ختم على سمعه و قلبه وجعلَ على بصرهِ غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تتذكَّرون} الجاثية/23، جاء في معنى " أضلَّه الله " أي: "أَنَّهُ حَقَّهُمْ بِأَسْبَابِ الضَّلَالَةِ مِنْ عُقُولٍ مُكَابِرَةٍ وَنُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ، اعْتَادَتِ اتِّبَاعَ مَا تَشْتَهِيهِ لَا تَسْتَطِيعُ حمل المصابرة والرضى بِمَا فِيهِ كَرَاهِيَةٌ لَهَا"[52]يتجلَّى لنا في ضوء الآية الكريمة أنَّه على علمهم أنَّ ما جاء به محمَّد صلى الله عليه وسلَّم هو الحقَّ، فإنَّهم اتَّخذوا طريق الضَّلالة عوَضًا عن الهداية، ذلك أنَّهم أصمُّوا أسماعهم عن سماع الحق، فأعرضوا عنه ولم يستجيبوا لندائه، كما وأقفلوا قلوبهم عن فهم الحقّ فتتشرَّبه قلوبهم فيتدبَّروا آياته، وأعمُّوا أبصارهم عن رؤية الحقّ، فتعطَّلت بذلك منافذ الإدراك لديهم، وابتعدوا عن أنوار الهداية إلى ظلمات الضَّلالة، وممَّا يثبت لنا أنَّ المنافقين هم المقصودون في الآية الكريمة هو تشابه الوصف الموجود في الآية الكريمة مع ما وصفهم به تعالى شأنه في قوله: {ومن النَّاس من يقول آمنَّا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين} إلى قوله تعالى:{صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون}البقرة/ 18، فكان المراد بهذه الطَّائفة هم المنافقون، الذين أقرُّوا الإيمان بألسنتهم، وأنكروه بقلوبهم، وكان سبب اتِّصافهم بصفة الصَّمم والبكم والعمى المعنوي، هو اتباع الهوى وعدم الامتثال لأمر الله ورسوله.

- ❖ عدم التَّحاكم إلى الله ورسوله، والتَّحاكم بدلًا عنه إلى الطَّاغوت: قوله تعالى: {وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرَّسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدودًا} النِّساء/61، أي: "رأيتهم لسوء نواياهم، ولؤم طواياهم يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً أى يعرضون عنك- يا محمد- إعراضا شديدا"[53]، إذ ظهر سوء نواياهم، وبانت نتانة سرائرهم من خلال أفعالهم واتِّجاهاتهم، فعدم قبولهم لحكم الله ورسوله كان دلالة على عدم إيمانهم به، وبذلك ظهر نفاقهم واضحًا عندما أعرضوا عن حكم الحقّ إلى الباطل، لعدم توافقه مع أهوائهم، فكانت هذه العلامة الواضحة للمنافقين، والنّقطة الفارقة الّتي تميِّزهم عن المؤمنين المؤتمرين بأمر الله ورسوله.

- ❖ اختلاق الإشاعات الكاذبة عن أهل الإيمان ونشرها: نظرًا لشخصيَّة المنافق المتحوّلة، المكوَّنة من قسمين متناقضين تمامًا، قسمٌ باطنيٌّ فيه الكفر، وقسمٌ ظاهريٌّ يُظهرُ الإيمان، وبسبب افتقار المنافق للصِّفات الأخلاقية الأساسيَّة في الإيمان من صدقٍ وأمانة، فإنَّ الكذب أمرٌ ممكن وسهلٌ عندهم، يستحلُّونه ويمارسونه بكلِّ براعة، ولا يجدون حرجًا في ذلك، كما أنَّ انعدام العقيدة الإيمانيَّة عندهم، قد جعلهم يُبحرون في بحور الأوهام، ويهيمون في وديان الأباطيل، فهم يحاولون بشتَّى الوسائل إحباط معنويَّات المؤمنين، وتثبيط صفوفهم ومعسكراتهم، و زلزلة الإيمان في قلوبهم، فيلجئون تارةً إلى تمثيل دور النَّاصح فيقولون للمؤمنين المجاهدين: (لا تنفروا في الحرّ)، وتارةً يختلقون الأكاذيب التي تطعن بأهل الإيمان ويقومون بنشرها حسدًا من عند أنفسهم، ورغبةً في إلحاق السُّوء بهم، وأكثر ما يبيّن ذلك في كتاب الله ما اختلقه المنافقون من الإفك في حقّ أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ الطَّاهرة المبرَّأة ، و ما روَّجوه في المدينة من البهتان العظيم، يقول تعالى في سورة النُّور: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور/11، يقرُّ الباحث من خلال هذه الآية اجتهاد المنافقين في الخوض في أعراض أهل الإيمان، باختلاق

---

[46] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص343.

[47] تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، ص73.

[48] يُنظَرُ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)
توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، ط: بدون تاريخ نشر، 466/7.

[49] نفس المصدر، 7/ 469.

[50] يُنظَر صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تح: جماعة من العلماء، ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة، 40/6، رقم: 4567.

[51] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص339.

[52] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)، 358/25.

[53] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨، 197/3.

الأكاذيب والافتراءات عنهم، مما يخطر في أذهان المنافقين من الظُّنون والأوهام، إذ لا شيء ممَّا يأفكون على أرض الواقع، بيد أنَهم يبحثون عن فتيلة صغيرة ليُشعلوا بها نيران الفتنة بين المسلمين، ويزرعوا الشُّكوك في نفوسهم، هذا هو همُّ المنافقين، تحطيم معنويات المؤمنين و بثّ الحزن فيهم من خلال تشويه سمعتهم، وتسويد صورتهم، تشفيًا منهم من عفَّة أهل الإيمان، والسَّبب الآخر لاجترائهم على القيام بهذا الفعل القبيح هو كونهم هم أنفسهم أولو سوابق في أمر الفاحشة، فيظنُّون أنَّ هذا الأمر منتشر بين النَّاس ويعتقدون أنَّ الجميع مثلهم، فكلٌّ إناءٍ بما فيه ينضح.

- الفسوق: قوله تعالى: {إنَّ المنافقين هم الفاسقون} التَّوبة/67، قيل في معنى الآية: "إنَّ المنافقين هم الكاملون في الخروج عن طاعة الله، وفي الانسلاخ عن فضائل الإيمان، ومكارم الأخلاق"[54]، وتلك نتيجة بديهيَّة لعدم إيمانهم بالله ورسوله، وعدم اقتناعهم بشرعه وما أُنزلَ على رسوله، كما ويرى الباحث أنَّ سبب خروجهم عن طاعة الله وابتعادهم عن دينه هو حبهم للدُّنيا وتعلّقهم بها، فلمّا كانت الدُّنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم، صارت عندهم أكثر أهميَّة من الدّين، الذي يعتبرونه تخلُّفًا و تأخُّرًا، فهم علاوةً على ذلك ينبهرون بالمظاهر الدُّنيويَّة، خصوصًا الحضارة الغربيَّة، إذ يعبرونها تحضُّرًا و تقدُّمًا، ولا يهمُّهم ما في الغرب من انحلال ديني وتفسُّخ أخلاقي، حيث ضاعت القيم الأخلاقيَّة والأسس الإيمانيَّة عندهم لذلك كان انبهارهم سريعًا بتلك الحضارة الشَّكليَّة الخالية من أدب الإسلام، وأخلاق الإيمان، وإنَّ انبهارهم بحضارة ماديَّة بعيدة عن الأخلاق والقيم الإيمانية، ليفسِّر لنا بعدهم عن الإيمان وخلوّهم منه، لأنَّ الإيمان يقتضي صلاح الباطن و جودة الجوهر، بيد أنَّ الإعجاب بشيء خالٍ من الصَّلاح والجودة يدل على عمى البصيرة، وانعدام الرُّؤية القلبيَّة، وهذا يكون عند من يقبع في الظُّلمات، البعيد عن أنوار الهداية، وهذا حال المنافق {صمٌّ بكمٌ عميٌ }.
- الضَّلالة: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النِّساء/60، إذ يتعجَّب الحقُّ جلَّ جلاله من التَّناقض في سلوك المنافقين، فهم مع ادِّعائهم بالإيمان بما جاء به الرَّسول صلَّى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، يمتنعون عن الاحتكام إلى شرع الله، ويعرضون فنه ويرغبون في الاحتكام إلى ما سواه، بعد أن أمرهم الله تعالى بعدم الإيمان بما سواه، بيد أنَّ الإيمان يتطلَّب الانصياع لأمر الله والانقياد لحكمه، و زعم المنافقين الإيمانَ مع عدم قبولهم الاحتكام بشرع الله، دلالة على كذب دعواهم، ، فكان مصيرهم الضَّلالة لعدم قبولهم الحق والهداية.[55]
- عدم الخوف والاستحياء من الله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ النِّساء/108، أي: أن هؤلاء الذين من طبيعتهم الخيانة والوقوع في الآثام يستترون من الناس عند ما يقعون في المنكرات حياء منهم وخوفا من ضررهم وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ

أي: ولا يشعرون برقابة الله عليهم، واطلاعه على جميع أحوالهم، بل يرتكبون ما يرتكبون من آثام بدون حياء منه مع أنه- سبحانه- هو الأحق بأن يستحى منه، ويخشى من عقابه[56].

يتجلى للباحث في ضوء هذه الآية الكريمة، أنَّ سبب ارتكاب المنافقين للآثام دون استحياء من الله أو خوف منه هو بسبب انعدام شعورهم بمراقبة الله لهم، فانعدام الشُّعور الإيماني الباعث على الخوف والخشية من الله، أدَّى إلى انتفاء هاتين الصِّفتين الجليلتين عندهم، فكان استتارهم من الناس مقدمًا على الاستتار من الله، وفي ذلك خيانة لله سبحانه، لعصيانهم له في الخفاء، وطاعتهم له في العلن، والإخلاص لله يقتضي طاعة الله دون الالتفات لرضا النَّاس.

- استغلال المؤمنين واستغفالهم بطرق المكر والخداع: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة/58، أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها. {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعا لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعا لمرضاة ربه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[57]، ذلك أنَّ أهواءهم لم تتوافق مع شريعة الله فأعابوها، ولم يأخذوا منها إلا ما يخدم مصالهم، فإن كان لهم نفع ماديٌ فيها قبلوها ورضوا، وإن لم يكن لهم فيها ما يُنتفع به في دنياهم، أنكروها وسخطوا.

ولا يقتصر حال المنافقين على تعييب قسمة النبي في الصدقات فحسب، فهم يعيبون أيَّ حكم لله ورسوله، لا يتوافق مع أهوائهم ورغباتهم، ومن الأمثلة من واقعنا المعاصر، من يعيب الملتزمات التزامًا كاملًا بلباس التقوى، وخُلُق الإسلام، لكونه لا يحقق لهم رغبتهم في النّظر لمفاتن المرأة والاستمتاع بها، ومن يعيب الصِّيام، لكونه لا يتَّفق مع شهوتهم في الطَّعام والشَّراب، وهلم جرّ إلى ما هنالك من تعييبهم لفرائض الدّين و أوامره.

- في قلوبهم مرض: قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة البقرة/10، وَالْمَرَضُ عِبَارَةٌ مُسْتَعَارَةٌ لِلْفَسَادِ الَّذِي فِي عَقَائِدِهِمْ. وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ شَكًّا وَنِفَاقًا، وَإِمَّا جَحْدًا وَتَكْذِيبًا. وَالْمَعْنَى: قُلُوبُهُمْ مَرْضَى لِخُلُوِّهَا عَنِ الْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالرِّعَايَةِ[58]، فالشك والنِّفاق الذي في قلوبهم، قد أحالها عن السَّلامة إلى المرض، فلم تكن سليمة، بسبب الخلل الذي قد اعترى إيمانهم، ولو لم يتخلَّلها الشكُّ والنِّفاق لكانت سليمة، ولبرئت من مرضها.
- يكذبون: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة البقرة/10، حيث أنَّ المرض الَّذي في قلوبهم من شكٍّ ونفاق قد أحجب عن قلوبهم رؤية الله، والخوف منه في سرائرهم و ضمائرهم، ما دفعهم إلى اختلاق الكذب، والتفوُّه به، والكذب نتيجة لعدمِ الاستحياء من الله، كما أنَّ الكذَّاب عديم المروة، عديم الحياء من الله ومن النَّاس، لعدم اكتراثه بما يؤول إليه حاله، من انعدام الثِّقة به، وصغرهِ وجبنه في أعين النَّاس، وسبب لجوء المنافقين للكذب، هو رغبتهم في حجب الحقيقة التي لا تتوافق مع أهوائهم و استبداله بما يوافقها، لذلك فالمنافق إنسان غير واقعي، يعيش في عالم من الوهم و اختلاق الأكاذيب، فيكذب كذبته ويروّجها ويصدّقها ويقتنع بها، رغبةً

---

54 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط: الأولى[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، 344/6.

55 يُنظَر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص184.

56 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط: مارس ١٩٩٨، 300/3.

57 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص340.

58 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، 197/1.

منه في أن تصبح حقيقة، هذا حال المنافق وواقعه، اختلاق الكذب، والكاذب أعمى بصيرته عن نور الحقيقة، فهوى في ظلام الوهم والتحدُّث فيه، فصار كذوبًا، عديم الحياء من الله، جبانًا أمام النَّاس لكذبه.

- الاستهزاء بالله وآياته ورسوله: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ سورة التوبة/ 65، أي أنَّهم إذا سُئِلوا عمَّا قالوه من طعن في المسلمين وفي دينهم[59]، ليقولنَّ لك على سبيل الاعتذار، إنَّما كنَّا نفعل ذلك على سبيل الممازحة والمداعبة لا على سبيل الجدّ ..قل لهم يا محمد- على سبيل التوبيخ والتجهيل- ألم تجدوا ما تستهزءون به في مزاحكم ولعبكم- كما تزعمون- سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟

فالاستفهام للإنكار والتوبيخ، ودفع ما تذرعوا به من معاذير واهية[60]، لقد ظهر في أفعالهم المستهزئة بالدِّين ما يبيّن عدم توقيرهم لله وخشيتهم من الله، فاتَّخذوه دين الله مهزأةً، وهذا يثبت جهلهم وعمى بصيرتهم، كما أنَّ تبريرهم لاستهزائهم بالدِّين بأنَّهم قاموا بذلك على سبيل الممازحة والمداعبة، كان عذرًا أقبح من ذنبٍ، فكيف يمكن الاستهزاء بآيات الله وبرسوله، إلا لمن لم يثبت في قلبه اليقين والإيمان بها، وبذلك فقد أظهرت أفعالهم سوء بواطنهم، وخبث سرائرهم.

- نسوا الله: قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ التوبة/67، جاءت الآية في خضمِّ وصفه تعالى لهم بالأمر بالمنكر والنَّهي عن المعروف و البخل في الإنفاق، فكانت أفعالهم تلك سببًا في نسيانهم لله، أي في بعدهم عنه سبحانه، وعن الالتزام بأوامره بما أمر به من القيام بالمعروف والأمر به، و الابتعاد عن المنكر والنَّهي عنه، ومن الإنفاق في سبيله، ولو رضوا بشرع الله لساروا وفق منهجه، ولكنَّهم أرادوا السَّير وفق أهوائهم، و ما تمليه عليه أنفسهم، فنسوا أوامر الله بتركهم الالتزام بها، ومالوا عن القيام بالطَّاعات إلى طاعة أنفسهم، فكانت نتيجة إعراضهم عن شرع الله أن أبعدهم الله عن هدايته، و تركهم مبتعدين عن طاعته، متخبّطين في ظلمات الفسوق والعصيان.

- الرجس: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة/125، ومعنى المرض كما ذكرنا آنفًا، أنَّه الشَّك والنِّفاق، ومعنى الرجس هو الكفر، يقول البغوي: أَيْ: كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَعِنْدَ نُزُولِ كُلِّ سُورَةٍ يُنْكِرُونَهَا يَزْدَادُ كُفْرُهُمْ بِهَا.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَكَانَ عُمَرُ يَأْخُذُ بِيَدِ الرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: تَعَالَوْا حَتَّى نَزْدَادَ إِيمَانًا[61]، فكلمَّا كانت تنزل آية كان يزداد عدم يقينهم وإيمانهم بآيات الله، وقد ظهر ذلك فيهم عندما كانوا يستهزؤون بالله وآياته ورسوله.

- الإعراض عن الإنصات لآيات الله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/127، تصور الآية الكريمة مشهد المنافقين حال نزول سورة على نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم، فهم لا يكترثون بآيات الله، ولا يودُّون سماعها والإنصات إليها، ولا يستطيعون البقاء في مكان يُقرَأُ فيه القرآن خشية أن يُذكَرَ فيه بعض صفاتهم وأفعالهم، فينصرفون من ذلك المجلس، وهذا يُفهَم من سياق آخر في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ التَّوبة/64، والسَّبب الثَّاني الذي يدفع المنافقين إلى عدم البقاء في مكان تُتلى فيه آيات الله هو عدم حبهم وتصديقهم لها، فلا تتقبَّلها قلوبهم، لأنَّ ما يُشغل فكرهم هو الدُّنيا، أكل كذا واشترى كذا، جلُّ تفكيرهم وأحاديثهم ماديَّة، أما الأمور المغذِّية للروح الإيمانيَّة فهم لا يعيرون لها آذانًا صاغية.

- عدم الفقه: قوله تعالى: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/127، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عن الإيمان وهو يحتمل الإخبار والدعاء. بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم. قَوْمٌ لَاّ يَفْقَهُونَ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم[62]، وجاء في معنى الآية: صرف الله قلوبهم عن الخير والنور، وذلك بأنهم قوم لا يفقهون. نعم لا يفقهون الدعوة وسرها، وما فيها لأن قلوبهم في أكنة لا يصل إليها نور أبدا، فهم معرضون يجعلون أصابعهم في آذانهم، من شدة الحقد، وفساد الطبع وخبث الطوية، ألا قاتلهم الله أنى يؤفكون، وهنا فرق بين من يحاول الفهم والحكم الصحيح، وبين من يعرض ولا يقبل النظر في الآيات أبدا[63]، فصرفُ الله لقلوبهم عن الحقّ والهدى كان بسبب انصرافهم هم أنفسهم عنه، ولو أقبلوا عليه لفهموه و تدَّبروه، بيد أنَّ الجزاء من جنس العمل، فهم من اختاروا سبيل الضَّلال و هم من سيتحمل نتيجته، فعدم فقههم وفهمهم كان بسبب عدم إنصاتهم للهدى والنُّور، وإعراضهم عمَّا فيه خيرهم وصلاحهم في الدُّنيا والآخرة، فثبت بذلك أنَّهم قومٌ عديمو الفهم والفقه.

- التعاون مع أعداء المسلمين: قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الحشر/11، أي: ألم تَعْجَبْ من حال هؤلاء المنافقين الذين خدعوا إخوانهم في الكفر، اليهودَ من بني النضير، حيث قالوا لهم اصمُدوا في دِياركم ولا تخرُجوا، فإننا سننصركم، وإن أُخرِجْتم من المدينة لنخرجنَّ معكم، ولا نطيعُ في شأنِكم أحدا ابدا.{وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ والله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} إن قاتلكم المسلمون قاتلنا نحن معكم. والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به[64]، يتجلَّى للباحث في ضوء الآية الكريمة وقوف المنافقين جنبًا إلى جنب مع الكافرين من أهل الكتاب، في فترات الحرب، وهذا ما يثبت خيانتهم و خداعهم للمؤمنين، وتشبيه الكفار في الآية بإخوان المنافقين دلالة على تشابه عقائدهم، وتماثل بواطنهم، وتفضيل المنافقين موالاتهم على موالاة المؤمنين، ولكنَّ المنافقين وكما مرَّ معنا وثبت أنَّهم يكذبون، فهم ههنا يكذبون حتى مع حلفائهم وإخوانهم في الكفر، فيتبيَّن لنا أنَّ من يتحرَّى الكذب في أقواله ومعاملاته، فاسد العقيدة والأخلاق، مضيّعٌ للآداب والفضائل، عديم الثَّبات، يفتقر لرؤية واضحة، أو موقف ثابت.

---

59 يُنظَر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ص342.

60 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط : الأولى [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، ، 340/6.

61 معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، 114/4.

62 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ، 103/3.

63 التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، ط: العاشرة - ١٤١٣ هـ، 33/2.

64 تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت ١٤٠٤ هـ) [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]، 319/3.

- حُسن المنظر والقول مع أهل الإيمان وإبطان العداء لهم: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة/4، تعجبكَ أجسامهم: يَعْنِي "أَنَّ لَهُمْ أَجْسَامًا وَمَنَاظِرَ، {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} فَتَحْسَبُ أَنَّهُ صِدْقٌ"[65]، وفي الآية توجيه على عدم الإغترار بحسن الشكل والهيئة، لأن وجودها مع انعدام الإيمان والصِّدق، لا ينفع ولا يغني صاحبه من الله شيئًا، فلابدَّ من صلاح الباطن، بسلامة القلب وصحَّة الفكر، إذ ليس كلٌّ من حسُنَت هيئته صلُحَ باطنه، وليس كلٌّ من حسُنَت أقواله صلُحَت أعماله، فهم يلجؤون إلى تزييف الحقائق و تشويه الوقائع، ويتحرَّون الكذب والبهتان إذا كان فيه صلاح شأنهم وعلو مكانتهم وتحسين صورتهم وتغطية مساوئهم وأفعالهم الخبيثة، فلا تغرَّنك أشكالهم و ذلاقة ألسنتهم، لأنَّ قلوبهم تقول غير ذلك، فهي تبطن العداء وتظهر الصَّداقة والموالاة لأهل الإيمان، يَظهرون بصورة الصَّديق، وهم في داخلهم عدوٌّ لا يريد الخير لأهل الإيمان، بل يتربَّص بهم، ويدبِّر لهم المكائد، ويتمنَّى هلاكهم وخُسرانهم.

هذه بعض صفات المنافقين النَّفسيَّة، بالإضافة إلى صفات أخرى لو ذكرتُها لطال الكتابُ بذكرها، ولا شكَّ أنَّ لهم الخطر الكبير والأثر المجحف على الأمَّة جمعاء، وهذا ما سأذكره في المبحث التَّالي.

الفصل الثاني: خطر المنافقين على مستوى الفرد والأمة، وكيفية تمييزهم عن المؤمنين، وضرورة الوقاية من صفاتهم.

المبحث الأول: خطر المنافقين على مستوى الفرد والأمَّة:

لا ريب أنَّ للنِّفاق والمنافقين الخطر العظيم والوبال الجسيم على الفرد والأمَّة جمعاء، فالمنافقون لا يُشابهون المؤمنين في صفاتهم ولا يُماثلونهم، وهم إضافةً إلى ذلك يُحاولون طبع المؤمنين على صفاتهم، وسحبهم إلى خلالهم، كي لا يمتازوا ـ كما ذكرتُ سابقًا ـ بسوء صفاتهم ودناءة أخلاقهم وسط مجتمعٍ فيه الصِّدق والأمانة وما إلى ذلك من صفات أهل الإيمان.

كما أنَّهم علاوةً على ذلك ليس لهم عقيدةٌ يستندون إليها، وإنْ كانوا في الظَّاهر على عقيدة أهل الإيمان، لذلك تراهم لانعدام عقيدتهم وإيمانهم يفعلون ما تمليه عليه نفوسهم، فالمرجع الذين يرجعون إليه في تعاملاتهم هو الظَّن، والمبدأ الذين يسيرون عليه هو الكذب، إنَّهم ذوو طباع غرائزيَّة، لا تختلفُ عن الغرائز الحيوانيَّة الجنسيَّة والعدوانيَّة، كما نجدهم أناسًا ماديِّين، يفتقرون للرُّوحانيَّة وللصِّفات الإنسانيَّة، من الرَّحمة والإيثار والتَّعاطف والإحسان وغيرها من تلك الصِّفات؛ وهذا أمرٌ طبعيٌّ، فمن انعدمت إنسانيَّتهُ ازدادت غرائزيَّته، ومن قلَّت روحانيَّته علت ماديَّته، وهذا ما يفسِّرُ تكاسل المنافق عنِ القيام للصَّلاة، وبخله عن الإنفاق في وجوه الخير، لقلَّة روحانيَّتِهِ، ولاهتمامه بالأمور الماديَّة والمشاغل الدنيويَّة.

ولصفاتهم هذه من الآثار السَّلبيَّة الكثيرة الَّتي لا يُستهانُ بخطورتها وضررها، فهم يقومون بمعاداةِ أهلِ الإيمان، ويطعنون فيهم رغبةً منهم في إظهارهم بأبشع صورة حسدًا منهم، وتغطية لممارساتهم وأفعالهم الشَّنيعة، ومن خطورة ممارساتهم أنَّهم يجهلون خطورتها، ومنهم من يجهل نفاقه أو نسبةً كبيرة من النِّفاق بالمقارنة مع نسبة الإيمان لديه، انخداعًا منه بأداء الفرائض، فكلَّما ازداد النِّفاق في قلب صاحبه تهدَّمت عرى الإيمان فيه.

إضافةً إلى خطورتهم في معاداة المؤمنين والطَّعن فيهم، فإنَّهم يقومون بالتآمر على الأمّة بموالاة أعدائها، وهذه نتيجة بديهيَّة لاتِّصافهم بالخيانة والكذب، فالخائن قابلٌ لِئن يكذب ويخون ويغدر في أية لحظة لأجل مصالحهِ ومنافعهِ الشَّخصيَّة لانعدام القيم الأخلاقية لديه، كما أنَّها نتيجة ذاتيَّة لطبائعهِ الغريزيَّة، ولانعدام عقيدته الإيمانيَّة.

ممَّا سبقَ تتوضَّح لنا الخطورة العظمى لممارسات المنافقين وصفاتهم على الفرد والأمَّة.

المبحث الثاني: كيفيَّة تمييز المنافقين عن المؤمنين وضرورة الوقاية من صفاتهم:

يقول الحق جلَّ جلاله في محكم التَّنزيل: (الَّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الَّذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) الزُّمر/18، وعندما تتبيَّن لنا أوصاف المنافقين لابد لنا من اجتنابها، من باب اتِّباع الأحسن، وهذا ما يفعله العقلاء، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المنافقين في كتابه العزيز، كما بيَّن لنا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم صفاتًا أخرى لهم تدلُّ على تدنِّي مستوى أخلاقهم، وذلك في الحديث الَّذي رواه عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.» تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ.[66]

من خلال هذا الحديث تتبيَّنُ لنا صفات المنافقين الأخلاقية الدَّنيئة، الكذب والخيانة والغدر والفجور، وما أكثر الَّذين يستحلُّون الكذب ويعتبرونه ذكاءً، وهو خبثٌ وخداع، والمشكلة ليست في ذلك فقط، بل هي أكبر وأخطر حينما يعتاد الإنسان عليه، فيصبح لديه كالعادة، وقد يتطوَّر الكذب لدى صاحبه، فيصبح كالمرض الذي يحتاج إلى علاج، فيتحوَّل من كذبة صغيرة إلى كذبة كبيرة، وهو ما يسمَّى بالإفك والبهتان، حينها يكون خُلُقُه الذي هو الكذب خطرًا على إيمانه، إمَّا أن يتوب عنه، أو يَذهبُ الكذب والبهتان بإيمانه، وهذا ما حصل في حادثة الإفك الَّتي اتُّهِمَت فيها أمُّ المؤمنين عائشة زوج النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في عرضها وهي ابنةُ الصِّدِّيق و حبيبة حبيب الله وخير خلقِ الله، حيث كانت الثُّلَّة الَّتي قذفتها رضي الله عنها من المنافقين، بينما لم ينطق بالإفك المؤمنون والمؤمنات، ولم يُصدقوه، يقول تعالى: (لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفكٌ مبين)النُّور/12، لأنَّ المؤمن خوفه من الله وطهارة قلبه وسلامة فكره، كلُّ هذه الأمور تمنعه من الظنِّ السَّيِّء، ومن الخوض في الأعراض بلا بيِّنة، فضلًا عن أنَّهُ يتحرَّزُ عن الكذب وإن كان صغيرًا لشعوره بمشاهدة الله له واستماعه إليه، فكيف له بالإفك وهو كذبٌ عظيم.

فالمؤمن طاهر اللسان صادقُه، وإذا ما نظرنا في الأسباب الَّذي تدفعُ النَّاسَ لافتراء الكذب، لوجدنا أنَّها لأمورٍ ومصالحَ دنيويَّة، فعندما يعزو النبي صلى الله عليه وسلم الكذب إلى المنافقين، فإنَّه بذلك ينفي هذه الصِّفة عن المؤمنين، بيد أنَّنا نرى في زماننا هذا الكثير من النَّاس ممَّن لا يتورَّعون عن الكذب، وهذا تفسيرُ قوله تعالى: (وما أكثرُ النَّاسِ ولو حرصتَ بمؤمنين) يوسف/103، فقد يكون أكثرهم مسلمين، ولكن أكثرهم ليسوا

---

65 معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م، 126/8.

66 صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تح: جماعة من العلماء، ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، 16/1، رقم34.

بمؤمنين بدليل قوله تعالى الآنف الذّكر، لانتفاء الصِّفات التي تدلُّ على الإيمان وتُثبِّتهُ في القلب وتَزيدُه، ولاتِّصافهم بالصِّفات التي تدلُّ على النِّفاق وتثبِّته في القلب.

فاتِّهام النَّاسِ بالباطل والخوض في أعراضهم، وتشويه سمعتهم من غير بيِّنةٍ هو أكبر الكذب وأبهته وأفكه، وفيه من الفجور ما لا حدَّ له.

ومن صفاتهم المذكورة في الحديث: خيانة الأمانة، وعدم الوفاء بالعهد، والفجور في الخصام، وهذه الأخيرة تكون بإنكار الحق أو دعوى الباطل[67]، وأسباب مرتكبهم واحدة، وهي دنيوية، وغايته واحدة وهي على الدُّنيا.

بينما المؤمن لا يكذب ولا يخون ولا يغدر ولا يفجر، لإيمانه بكرم الله وعطائه، ومعيَّته للمؤمن، ولإيمانه بمراقبة الله له في كل لحظة ولكل قول أو فعلٍ يصدرُ عنه، فلا يكذب أو يخون الأمانة، ولا يهضم الحقَّ إن انعدمت مراقبة أحد من النَّاس له، لأنَّ خوف المؤمن من الله لا من النَّاس، فمهما غاب عن أنظار الناس يعلم أنَّ الله حاضرٌ و موجود في كل مكان، وأنَّ الله يراه، فيستحيي من الله ولا ينقض العهد بينه وبين ربِّه لبضعِ متاعٍ من الدُّنيا زائل، يقول تعالى: (فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الَّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) التَّوبة/111، في هذه الآية جاء الخطاب للمؤمنين، والمنافقون بخلاف ذلك ففيهم الكذب والغدر والخيانة لعدم خوفهم من الله وعدم استحيائه منه، ولانعدام الضمير الإيمانيّ الذي يلحُّ بفعل المعروف وترك المنكر، وهذا جلُّ الفرق بين المؤمن والمنافق.

فكلُّ صفةٍ من هذه الصِّفات هي جزء من تكوين النِّفاق في القلب، وكلُّ صفةٍ منها تذهب ببعض الإيمان من القلب، فإذا ما وُجِدَت صفةٌ واحدة وُجِدَ فيه بعضٌ من النِّفاق، وهي جزءٌ من الأجزاء المكوّنة له، وإذا ما اجتمعت تلك الصِّفات مجتمعة في خُلُقِ العبد، اجتمع النِّفاقُ في قلبه، فصار منافقًا خالصًا، وخرج من دائرة الإيمان، ولِحفظ الإيمان لابدَّ من ترك صفات النِّفاق ونبذها، كي يكون الإيمان قويًّا، خالصًا من شوائب النِّفاق، ويكون القلب سليمًا من هذا المرض الخطير.

الخاتمة:

وفي الختام، وقبل أن أضع القلم أودُّ أن أذكر أهم النتائج التي توصّلتُ إليها في هذا الصدد بما يلي:

1) إنَّ النِّفاق مرضٌ قلبي، صاحبه ذو نفس مريضة، أبرز صفاتها الكذب والخيانة والخداع والفجور، وقد كان موجودًا في زمن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ولا زال إلى يومنا هذا.

2) ضرورة التحرُّز من صفات المنافقين، وعدم التَّهاون بأي صفةٍ منها، لخطورتها على الإيمان.

3) إنَّ تبيان الله تعالى لنا صفات المنافقين وأفعالهم، إشارةٌ منه سبحانه لتمييزهم عن المؤمنين واجتناب أفعالهم وصفاتهم، وأنَّ الإيمان يكون بالعمل أيضًا، بخلاف قول القائلين أنَّ الإيمان في القلب ولا علاقة بالعمل به.

4) ضرورة وأهميّة حفظ الإيمان بحفظ اللسان عن الكذب صغيره وكبيره، وحفظ العهود والأمانات بيننا وبين الله، وبيننا وبين النَّاس.

5) أنَّ الصِّدق والأمانة علامة الإيمان، كما أنَّ الكذب والخيانة علامة النِّفاق.

6) عدم الاغترار بالعبادات، وعدم الاقتصار عليها دون الأخلاق، وضرورة عدم الفصل بينهما لأنَّهما مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا لا ينفك أحدهما عن الآخر.

7) إنَّ ذكر الله تعالى لطريقة قيام المنافقين لأداء العبادات كالصلاة، ثم ذكر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في حديثه انتفاء الأخلاق الفاضلة عن المنافقين كالصِّدق، يبيّن لنا الارتباط الوثيق بين العبادات والأخلاق، فأداء العبادات بخشوع ينهى صاحبها عن المنكرات {إنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} العنكبوت/45، ويوجِّهه لأحسن الأخلاق، يقول صلى الله عليه وسلَّم: " إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق "، ويصحِّح الفهم الخاطئ المنتشر لدى البعض أنْ لا علاقة للعبادات بالأخلاق، فالعبادات شُرِّعَت لاستقامة النَّفس وتربيّتها على حَسَنِ الأخلاق و صالح الأعمال.

التَّوصيات:

ولعلَّ خير ما أوصي به آملةً أن تلقى وصاياي أُذُنًا واعية، هو ما يلي:

1. إيلاء مواضيع الإيمان والنِّفاق اهتمامًا كبيرًا، من خلال إقامة النَّدوات، والمحاضرات، والمؤتمرات العلميَّة.

2. التَّوسُّع والدِّقة في تسليط الضَّوء على أهم صفاتهم وأبرزها وشرحها بطريقة دقيقة وواضحة، تصحّحُ الفهم الخاطئ المنتشر لدى أوساط العامَّة وبعض الدَّارسين، لتجنُّبِ الفهم الخاطئ لها في المستقبل.

3. التَّواصي بعدم السَّماح لكلِّ من هبَّ ودبَّ، ولغير المختصِّين المتمكِّنين، من التكلُّم والخوض في تفسير كلام الله، لاحتماليَّة وجود الخطأ في كلامهم، فيكون الفاعل ضالًّا بنفسه، مُضلًّا لغيره.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، غريب القرآن، تح: سعيد اللحام، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

[67] يُنظر أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»، أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (ت ١٣٩٧ هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 62/3.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

حنبل، أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ٥٠ (آخر ٥ فهارس)، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

البخاري الجعفي، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

الباهلي، أبو عثمان الصفار البصرى، مولى عزرة بن ثابت الأنصارى، عفان بن مسلم بن عبد الله (ت بعد ٢١٩ هـ)، أحاديث عفان بن مسلم، تح: حمزة أحمد الزين، ضمن مجموع: «أحاديث الشيوخ الكبار»، دار الحديث – القاهرة، سنة الطبع١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت ١٤٤٣ هـ]، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي [ت ١٤٢٨ هـ]، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

البستي الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (ت ٣٨٨هـ)، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، دار: المطبعة العلمية – حلب، ط: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ.

التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، تفسير التستُّري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، دار: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

الثَّعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

يوسف، عبد السَّلام، علم التفسير، ANKARA SONÇAĞ.

يوسف، عبد السَّلام، القرآن الكريم بين الخطاب والدلالة: السياق القرآني ودوره في الترجيح، ANKARA SONÇAĞ.

الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد – بيروت، ط: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

السَّمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور، دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

السَّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

الشَّافعي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)، الأم، دار الفكر – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م (وأعادوا تصويرها ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م)، عدد الأجزاء: ٨ (في ٥ مجلدات).

الشنقيطي، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني (ت ١٣٥٤هـ) كوثَر المَعَاني الدَّرَاري في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

الطَّبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، عام النشر:جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ.

الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.

القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

القطَّان، إبراهيم (ت ١٤٠٤ هـ)، تيسير التفسير، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

الكشناوي، أبو بكر بن حسن بن عبد الله (ت ١٣٩٧ هـ)، أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الثانية.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار: مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، (تصوير/ دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ط: الثالثة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

النَّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النَّيسابوري الشَّافعي (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

باشميل، محمد بن أحمد، من معارك الإسلام الفاصلة، الناشر: المكتبة السلفية – القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (بعض الأجزاء تختلف، ينظر بداية كل جزء).

القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى.

الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar

عدد الأجزاء: ١١

تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ

[الكتاب مرقم آليا].

التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.